العلاقات العربية الإيرانية

إعداد
أسامة عبد الرحمن

المقدمـة

إيران فى تاريخها عبر العصور هل كانت صديقا للعرب والمنطقة العربية في يوم من الأيام ؟ سؤال مطروح لكل المدافعين عن تلك الدولة اتخذت إيران موقفا معاديا للمنطقة العربية وعلى مر العصور والمتغيرات ولم تكن في يوم من الأيام إلا عدو لدود للعرب والمنطقة ، ولم يكن هدفها سوى السيطرة على تلك المنطقة فمنذ اجتياح قورش لبابل واحتلاله لها عام ٥٣٩ ق.م ، مروراً بالفرثيون وبالدولة الساسانية التي استمر احتلالها للعراق والذي انتهى نتيجة الفتوحات الإسلامية عام ٦٤٠م وإثارة الفتن في زمن الدول الإسلامية ،مروراً بالاحتلال الصفوي الذي اجتاح العراق لأكثر من مرة ،والحرب على العراق واحتلال الجزر العربية الثلاث ، واحتلال أراضي الأحواز العربية ، وصولاً إلى ما تقوم به إيران اليوم من محاولة إحياء أحلامها التوسعية والاستعمارية تاريخ طويل في العداء تمثل في صور وأشكال مختلفة اختلقت فيها المسميات رغم وحدة الهدف المتمثل في محاولة الاستيلاء على المنطقة ونهب ثرواتها وكان لابد لهذا العداء أن يتخذ سبلاً مختلفة للوصول إلى الهدف خصوصاً بعد الفتوحات الإسلامية لدول المنطقة وتوحيد تلك الدول والشعوب تحت راية الإسلام والذي أدى إلى سقوط الإمبراطوريات والمدن نتيجة تلك الفتوحات ، حيث أدركت تلك القوى أن السبيل الوحيد لإحياء أطماعها هو محاولة الاختراق من الداخل وبث الفتنة من خلال التظاهر بالإسلام ومحاولة الطعن فيه لتشتيت وحدة الصف بعد أن أعياها المواجهة العلنية فكان التوظيف السياسي للدين هو المدخل الرئيس لذلك مروراً بأبى لؤلؤة وابن سبا والبرامكة مروراً بابن العلقمي وصولاً إلى من كان عليهم تكملة المشوار لهذا وذاك كان لابد لهذا العدو أن يتحالف مع كل من يمكن أن يساهم في تحقيق ذلك الهدف علناً أو خفيةً ، ولهذا وذاك أيضاً كان لابد من تغيير المسميات مرة أخرى وفق الأهداف المرسومة للمنطقة لتقسيمها وكان لابد أن يستبدل النظام العلماني الحليف للغرب و المعادي للعرب بنظام آخر معادي للعرب ومتحالف مع الغرب في الأهداف والطموحات ليكون الذراع الداخلي مرةً أخرى لتقسيم دول المنطقة ومحاولة الاستيلاء عليها فالشيطان الأكبر لم يكن إلا الحليف الرئيس لمحور الشر ، والاختلاف الوحيد الذي قد يحدث بينهما هو اختلاف في الحصص والمكاسب المراد تحقيقها وكيفية تقسيمها.

لذلك نجد أن الشيطان الأكبر يتوعد إيران منذ زمن ليس بالقريب ويكيل الاتهامات إليها بموازاة الاتهامات الموجهة إلى دول أخرى ولكنه لم يقم بأي عمل عسكري تجاهها مع قيامه بذلك لدول أصبحت أقل خطراً وفق المنظور العسكري كالعراق وأفغانستان ، ولو كان الأخير مدرج إيران ضمن عملياته العسكرية لقام بها قبل احتلاله للعراق للاعتبارات العسكرية واللوجستية ولذلك نجد أن الشيطان الأكبر هو الداعم الرئيس لعملاء محور الشر في العراق المتمثلين في تلك الأحزاب التي ترفع شعار الولاء لإيران بصورة علنية ومنذ نشأتها وصلت الى المطالبة بدفع تعويضات لإيران من قبل العراق حلقة متكاملة يديرها الطرفان تستخدم فيها بيادق الشطرنج تحت مسميات مختلفة لتحقيق الهدف ، فالحكيم المتآلف مع الشيطان نجده حليفاً في الوقت نفسه لإيران ومقتدى الذي يرفع شعار معاداة الشيطان نجده متحالفاً مع أصدقاء الشيطان وما اختلافه اليوم أو بالأمس القريب معهم إلا اختلاف اللصوص في تقسيم الغنائم ، وهناك الكثير من بيادق الشطرنج لازالت مختبئة خلف الجدران في المنطقة ترتدي أزياءً تنكرية في بعض الأحيان وترتدي لباسها الحقيقي في أحيان أخرى منتظرة اللاعب الإيراني لتحريكها وفق ما يناسبه ضمن رقعة الشطرنج والذي يستهدف السيطرة على المنطقة العربية بأكملها واقتسامها مع باقي الشركاء إذا لم تتحرك دول المنطقة بشكل جدي لمنع تلك المخططات الرامية إلى تقسيم العراق ودول المنطقة للسيطرة عليها .

ورغم أن موضوعنا عن علاقة إيران بالعرب إلا أن أبرز ما تجده هنا هو طول موضوع علاقة إيران بالعراق لأن العلاقة بينهما أخذت حيزا زمنيا كبيرا بحكم علاقة الجوار وتباعد المعتقدات ورسوخ الفكر الاستعمارى فى العقل الإيرانى.

المؤلف

الباب الأول
تاريخ العلاقات

العلاقات الفارسية العربية قبل الإسلام :

تمكن الملك الفارسي قورش عام ٥٤٢ق.م من احتلال الشام ثم العراق ثم قام ابنه باحتلال مصر وبعض بلاد العالم القديم، إلا الجزيرة العربية يقول المؤرخ اليوناني هيرودوتس في صدد الكلام عن داريوس ما نصه ولقد اعترف بسلطانه جميع أقوام آسيا الذين كان قد ذللهم كورش ثم قمبيز إلا العرب، فهؤلاء لم يخضعوا البتة لسلطان فارس، إنما كانوا أحلافها، ولقد مهدوا لقمبيز سبيل التوصل إلى مصر، ولولاهم لما أمكنه القيام بهذه المهمة.

واستمر حال العرب في الجزيرة مستقلين بأنفسهم إلى أن قام الملك الفارسي سابور الثاني عام ٣٧٠م بشن حملة إبادة ضد العرب، فتك فيها بالعرب على الساحل الإيراني وعبر الخليج حتى مدينة القطيف (الخط آنذاك)، وقام بمذابح هائلة فيها وفي هجر الاحساء ثم توغل في جزيرة العرب فقتل من تمكن منه من العرب ومثل بهم بقطع أكتافهم.كما قام بتهجير القبائل وفرض عليها الإقامة الجبرية وعمد إلى طمر المياه وردم الآبار، فقتل كل من وجده من العرب، فكان ينزع أكتافهم ويمثل بهم. وكان لشناعة هذه المثلة اثر سيئ في نفوسهم، فمن ثم لقبوه بذي الأكتاف وما يزال الفرس إلى اليوم يفتخرون بجرائمه.

وقد خضع العرب في العراق (مملكة الحيرة) وعلى سواحل الخليج العربي (المسماة بالبحرين آنذاك) للنفوذ الفارسي حتى مجيء الإسلام. وامتد نفوذ الفرس حتى اليمن وقد عانت هذه المنطقة من أولئك الولاة العتاة، وكابدت ألوانا من الاضطهاد والتنكيل، واشتهر ازاد فيروز بن جشيش الملقب بالمكعبر الفارسي بفظاظته ووحشيته، حتى أنه كان يقطع أيدي العرب وأرجلهم من خلاف، وكاد يفني قبيلة بني تميم عن بكرة أبيها في حادثة حصن المشقر بهجر وكان العرب متفرقين يصعب عليهم التجمع لضرب الفرس، إلا في أوقات قليلة مثل معركة ذي قار، التي انتصر فيها العرب على العجم.

وكان الفرس يحتقرون العرب كثيراً ويستكبرون عليهم، حتى بنوا عاصمتهم المدائن على أرض العرب وقد بدا ذاك واضحاً في خطابات كسرى مع النعمان بن المنذر ملك الحيرة وبسبب هذه العنصرية الشديدة، رفض الفرس دعوة الإسلام رفضاً باتاً.

الفتح الإسلامي لإيران:

ويعتبر الانتصار الذي حققه المسلمون علي الفرس في معركة القادسية عام ٦٢٥م إيذاناً بالفتح الإسلامي لإيران والذي نتج عنه عدة أمور وأهمها :
١- إسلام عدد كبير من الفرس بدوافع مختلفة.
٢-هجرة كثير من القبائل العربية إلي فارس .
٣-هجرة كثير من الفرس إلي حواضر العالم الإسلامي ومسا كنتهم للعرب.
٤-احضر العرب كثير من الرقيق الفرس واللذين كان لهم أثراً كبيراً في الحياة الاجتماعية والثقافية للعرب.

الرسول صلى الله عليه وسلم والإمبراطورية الساسانية:

كان أول حديث للرسول عن الفرس عند لقائه ببني شيبان بعد السنة الثالثة للبعثة النبوية الشريفة في موسم الحج في مكة المكرمة طالباً منهم نصرتهم لتبليغ دعوته التي بعثه الله بها إلى الناس كافة، فأجابه المثنى بن حارثة الشيباني قبل إسلامه قائلاً إن أحببت أن نؤويك مما يلي مياه العرب دون ما يلي وإني أرى الأمر الذي تدعونا إليه أنت مما يكرهه الملوك فأجابهم رسول الله قائلاً ما أسأتم الرد إذ نصحتم بالصدق وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا مَن أحاط به من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم، وهذه أول إشارة من رسول الله بحتمية النصر على الفرس.

وكانت الإشارة الثانية عندما لحق سراقة بن مالك برسول الله وأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهما في طريقهما إلى المدينة المنورة مهاجرين ليردهما إلى قريش فحيل بينه وبينهما، عندما قال رسول الله يا سراقة بن مالك كيف بك إذا لبست سواري كسرى)، والإشارة الثالثة عند حفر الخندق في غزوة الأحزاب، قال رسول الله (عندما ضرب صخرة في الخندق وانصدع وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة، حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبّر رسول الله تكبير فتح، وكبّر المسلمون، ومن ثم سألوا رسول الله عن ذلك فأجابهم قائلاً: ضربت ضربتي الأولى، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب كلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها) هذه بعض بشائر رسول الله بالفتح والنصر.

رسالته إلى كسرى :

نص رسالة رسول الله إلى كسرى وكما ذكرها الطبري في تاريخه (بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على مَن اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله إلى الناس كافة لينذر مَن كان حياً، اسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس، فمزق كتاب رسول الله ، فقال رسول الله مُزق ملكه.

وكان عامل كسرى على اليمن باذان وقد أرسل إليه كسرى يأمره بإحضار النبي فأرسل باذان رجلين لإحضار النبي لكنه مع ذلك حرص على معرفة الرسول الكريم فلما وصلا إلى المدينة طلب بابويه وهو أحد الرسولين من النبي أن ياتي معهما إلى الملك باذان ليبعث به إلى كسرى وقال الرسول وإن أبيت فهو مَن قد علمت: فهو مهلكك ومهلك قومك، ومخرب بلادك ، فقال لهما رسول الله ارجعا حتى تاتياني غداً، واتى رسول الله الخبر من السماء أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل فدعاهما فأخبرهما وقال لهما: وقولا له -أي باذان- إن ديني وسلطاني سيبلغ ملك كسرى وقولا له: إنك إن اسلمت اعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الاناء)، ولما أخبرا باذان بذلك قال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول، فلئن كان هذا حقاً فإنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا، فلم ينتظر طويلاً حتى قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بأنه قد قتل أباه فأسلم باذان وأسلم معه قومه.

وبعد اليمن أصبحت البحرين جزءاً من الدولة الإسلامية وذلك بإسلام المنذر بن ساوى الذي ولاه الفرس على العرب في البحرين ، جاء في فتوح البلدان وكانت أرض البحرين من مملكة الفرس وكان بها خلق كثير من العرب وكان على العرب فيها من قبل الفرس على عهد رسول الله المنذر بن ساوى فلما كانت سنة ثمان وجّه رسول الله العلاء بن الحضرمي حليف بني عبد شمس إلى البحرين ليدعو أهله إلى الإسلام او الجزية، وكتب معه إلى المنذر بن ساوي وإلى مزربان هجر يدعوهما إلى الإسلام او الجزية فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم ، فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء وكتب بينه وبينهم كتاباً

جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين، صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا التمر وأما جزية الرؤوس فانه أخذ لها من كل حالم ديناراً وجاء أيضاً في فتوح البلدان: لم يكن بالبحرين في أيام رسول الله قتال ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء.

العلاقات الفارسية العربية فى صدر الإسلام:

أرسل رسول الله عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى الثاني يدعوه للإسلام فغضب كسرى فلما قدم عبد الله على نبي الله أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه الكتاب، فما زاد رسول الله على أن قال مزق الله ملكه أما كسرى فقد كتب إلى باذان نائبه على اليمن بما سبق ذكره .

الفرس في ظل الأمويين:

كانت المعاملة التي لقيها الفرس من بني أمية لا يمكن أن توصف بأنها قائمة علي أساس الدين فكانوا ينظرون للموالي الفرس نظرة متعالية كقول معاوية إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت وكأني انظر منهم وثبة علي العرب والسلطان فقد رأيت أن اقتل شطراً ، وادع شطراً ، لإقامة السوق ، وعمارة الطريق. ولهذا ظهرت الحركة الشعوبية بين الفرس ، ونادي الفرس بالمساواة بينهم وبين العنصر العربي فتمردوا وعملوا جاهدين للإطاحة بالدولة الأموية وبالفعل استطاعوا تحقيق ذلك وقد كان بين العرب والفرس علاقات مصاهرة منذ عهد بني أمية فقد قال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للولد فليتخذها فارسية

الفرس في ظل العباسيين:

كان للفرس الدور الأهم في إنجاح الثورة التي دعي لها العباسيين تحت شعار الرضا من آل البيت وكان يفهم الفرس من هذا الشعار هو آل بيت النبي من نسل علي رضي الله عنه والسيدة فاطمة ومن أشهر القادة الفرس الذين برزوا في الثورة العباسية أبي مسلم الخراساني و أبي سلمه الخلال وميسرة مولي علي بن عبد الله بن عباس ، خالد بن برمك.

وبعد أن ساهم الفرس في قيام الدولة العباسية كان من الطبيعي أن يكون لهم دوراً في هذه الدولة حيث أضفوا صبغة فارسية علي كثير من مؤسساتها وتنظيماتها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية كما ساعدهم في ذلك نقل الخلافة إلي بغداد القريبة من فارس فنقلوا الكثير من قوانين الملك الفارسية إليها ومنها تقسيم الخاصة والعامة إلي طبقات اجتماعية تبعاً للفعاليات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يمارسها الأفراد ، كما ادخلوا نظرية الحق الإلهي والحكم المطلق للحاكم وتقوم هذه النظرية علي أن الحاكم هو ظل الله في أرضه ومن مظاهر النفوذ الفارسي في الدولة العباسية تقلدهم مناصب هامة في الدولة فكان أكثر وزراء العباسيين فرس وكان أول وزير فارسي هو أبو سلمه الخلال ، وتولوا مناصب قيادية في الجيش العباسي مثل طاهر بن الحسين أبي مسلم الخراساني ، خالد بن برمك.
كما تقلدوا مناصب الكتابة في الدولة مثل ابن المقفع، احمد بن يوسف، سهل بن هارون وغيرهم ممن أصولهم فارسية.

وقال الجاحظ دولة بني العباس أعجمية خراسانية ، ودولة بني مروان عربية أعرابية وبعد الفتح الإسلامي تدفقت الهجرات والقبائل وزاد الاختلاط بين العرب والفرس وذلك لعدة عوامل أهمها:
١-انضمام عناصر فارسية إلي الجيش الإسلامي .
٢- أسري الحرب من الفرس وكانوا يوزعون علي الجيش الإسلامي ويسترقون وذكر هذا احمد أمين في كتابه فجر الإسلام ولما كثرت الفتوح كثر الاسترقاق من الأمم المفتوحة كثرة هائلة ووزع المسترقون- رجالا ونساءا وذراري- علي العرب الفاتحين حتى يري المسعودي أن الزبير بن العوام كان له ألف عبد وألف أمه.
٣-هجرة القبائل العربية إلي فارس واستيطانها هناك.
٤-هجرة الفرس المسلمين وغير المسلمين إلي الأمصار العربية ويقال أن عدد الفرس في بغداد كان يوازي عدد العرب.
٥-انتقال عاصمة الخلافة إلي بغداد القريبة من فارس وهذا سهل الهجر.

متى تشيعت إيران ؟

يمثل تاريخ الدولة الصفوية في إيران منعطفا مهما في تاريخها، فبقيامها اتخذت إيران المذهب الشيعي الاثنا عشري مذهبا رسميا، وكان لهذا التحول آثاره البعيدة في تاريخ إيران خاصة وتاريخ العالم الإسلامي عامة ويعتز الصفويون بالشيخ صفي الدين الأردبيلي وهو الجد الخامس للشاه إسماعيل، وكان رجلا نشيطا دائم الحركة والسعي؛ استطاع أن يجذب الأتباع حوله في أذربيجان ثم انتقل الأمر إلى ابنه، ثم إلى حفيده صدر الدين خواجة علي سياهبوش.

نجح أبناء الأردبيلي وأحفاده في نشر المذهب، وصارت لهم قوة وقدرة على المشاركة في الأحداث السياسية في المناطق التي يقيمون بها، وتحولوا من أصحاب دعوة إلى مؤسسي دولة لها أهدافها السياسية والمذهبية وكانت الأجواء التي تعيشها إيران في أواخر القرن التاسع الهجري من التمزق السياسي وشيوع الفوضى أفضل مناخ استغله الصفويون لجذب المزيد من الأنصار، والتطلع إلى قيام دولة تدين بالمذهب الشيعي حيث سيطرت على إيران قبيلتان من قبائل التركمان هما قراقويونلو أي أصحاب الخراف السوداء، وآق قويونلو أي أصحاب الخراف البيضاء وكان القتال مستمر بين تلك القبائل، مما زاد تمزق إيران بعد تعرضها لتدمير المغول ثم لتدمير تيمورلنك.

ولد إسماعيل الصفوي في (٢٥ رجب ٨٩٢ هـ/٢٥ يوليو ١٤٨٧م)، وعاش بعد وفاة أبيه في كنف كاركيا ميرزا حاكم لاهيجان الذي كان محبا و ظل إسماعيل الصفوي ٥ سنوات تحت سمع هذا الحاكم وبصره، حتى شبّ قويا محبا للفروسية والقتال، قادرا على القيادة والإدارة وفي أثناء هذه الفترة كانت الدولة تعيش فترة صراعات بين أفراد أسرة آق قويونلو التي كانت تحكم فارس آنذاك، وهو ما استغله أنصار الصفويين، وأمّروا عليهم إسماعيل الصفوي، وكان صغيرا لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، لكنه كان مهيأ للقيادة والزعامة بفضل الرعاية التي أحاطه بها حاكم لاهيجان.

وتمكن إسماعيل الصفوي وأنصاره من خوض عدة معارك ضد حكام بعض المناطق في إيران والتغلب عليهم، وتساقطت في يده كثير من المدن الإيرانية، وتوج جهوده بالاستيلاء على مدينة تبريز عاصمة آق قويونلو، ودخلها دخول الفاتحين، ثم أعلنها عاصمة لدولته.

وبدخول إسماعيل مدينة تبريز تم تتويجه ملكا على إيران، ولقبه أعوانه بأبي المظفر شاه إسماعيل الهادي الوالي، وذلك في سنة (٩٠٧ هـ - ١٥٠٢م) وأصدروا العملة باسمه وكانت إيران تدين بمذهب أهل السنة والجماعة، ولم يكن فيها سوى أربع مدن شيعية هي: آوه، قاشان، سبزوان، قم وعقب تتويج إسماعيل الصفوي ملكا على إيران أعلن المذهب الشيعي مذهبا رسميا للدولة وتوجهت أنظار إسماعيل إلى منطقة جبل عامل في لبنان التي كانت آنذاك أحد معاقل الشيعة، وفيها الكثير من علمائهم يقول الباحث حسن غريب رأى مؤسس الدولة الصفوية – الشاه إسماعيل– أنه من العسير عليه أن يوفر للناس حقيقة المعتقد وترسيخ مبادئه في نفوسهم، ووجد أيضاً أن الكتب غير متوفرة، فعمد إلى ملء الفراغ من خلال استحضار علماء الشيعة من جبل عامل وقد غادر هؤلاء العلماء إلى إيران بدعوة وبغير دعوة وفي عهد الملك الصفوي طمهاسب، أصبحت استمالة علماء جبل عامل للتوجه إلى إيران من السياسات الأساسية للحكومة هناك، وهكذا استمرت هجرة العلماء العامليين منذ ذلك الحين، وحتى سقوط الحكم الصفوي لم يستطع علماء الشيعة في جبل عامل مقاومة الإغراءات الصفوية للقدوم إلى إيران، فنصرة المذهب ودعمه وترسيخ دعائمه في إيران احتل لديهم مكانة كبيرة، لكن أسباباً أخرى دفعتهم للهجرة إلى إيران إذ كان المهاجرون عموماً يجدون في إيران ظروفاً مواتية، والذين تجاوبوا مع الحكومة الصفوية وتضامنوا معها، كانوا يحصلون على عطايا وهدايا، على شكل أملاك وأموال نقدية وعينية ومن الأسباب التي شجعت علماء جبل عامل بلبنان على التوجه إلى إيران المكانة الكبيرة التي حصلوا عليها وقد وصل احترام الملوك من الصفويين للعلماء والفقهاء العامليين – خصوصاً - حد أنهم فوضوا إليهم كافة المهام القضائية في البلاد، ومنحوهم السلطات والصلاحيات اللازمة، فأصبحوا المصدرين والمنفذين للحكام والحدود الشرعية وعقوبات القصاص في كل مدن إيران ويقدر مؤلف كتاب هجرة علماء الشيعة عدد علماء جبل عامل الذين هاجروا إلى إيران في العهد الصفوي بـ ٩٧ عالماً، لم يعد منهم إلى جبل عامل سوى سبعة فقط.

وبعد أن فرغ إسماعيل الصفوي من تعديل دولته بدأ يوجه همه إلى تدعيم الوحدة السياسية لدولته، ويعد العدة ليضع يده على كل بلاد فارس، وكان لا بد من الاصطدام بقبائل الأوزبك التي كانت تموج في المناطق الشمالية الشرقية من فارس

وكانت قبائل الأوزبك تعتنق المذهب السني، تحت زعامة محمد شيباني الذي نجح في أن يقيم ملكا على حساب الدولة التيمورية، وأن يستولى على عاصمتها سمرقند وأن يمد سيطرته على هراة في مطلع سنة (٩١٣هـ - ١٥٠٧م).
وهكذا أصبح الأوزبك وجها لوجه أمام إسماعيل الصفوي، وزاد من الصراع بينهما التراشق المذهبي بينهما، وأرسل محمد شيباني إلى إسماعيل الصفوي يدعوه إلى ترك المذهب الشيعي والعودة إلى مذهب السنة والجماعة، ويهدده بحرب ضروس في قلب إيران ذاتها، وبهذا أصبح لا مفر من الحرب بينهما.
وكان شيباني يتصف بالجرأة والإقدام، لكنه لم يكن على مستوى عدوه إسماعيل الصفوي في المراوغة والخداع في الحروب، فاستغل إسماعيل ذلك، وجرَّ خصمه إلى معركة كان قد استعد لها تماما، وتمكن من إلحاق هزيمة مدوية به في محمود آباد -وهي قرية تبعد قليلا عن مرو- وذلك في سنة (٩١٦هـ ١٥١٠م) قتل شيباني نفسه في المعركة، وبعد مقتله أعمل إسماعيل الصفوي القتل في أهل مرو، وأعلن فيها المذهب الشيعي مذهبا رسميا، على الرغم من أن أهالي هذه المناطق كانت تدين بالمذهب السني.

الباب الثانى
التوتروالخلافات

أسباب الخلاف العربي الإيراني:

بعد ظهور التشيع لآل البيت وانتشاره فى فارس قديماً (إيران حالياً) أصبح العداء مستفحلاً بين الدول السنية والشيعية ظاهراً تارة ومستخفيا تارة أخرى متخذا ذرائع بعيدة عن العقيدة فمن أسباب التوتر بين إيران الشيعية والدول العربية التى أكثرها سنة ما يلى:
- قضية خوزستان أو عربستان .
- قضية الجزر الإماراتية .
- الحرب العراقية الإيرانية.
- الإختلاف المذهبي.
- التطوير النووي لدى إيران.
- تحالفات دول المنقطة مع أمريكا .
- الأثر النفسى السئ الناتج عن معاملة المسلمين الأول للفرس على انهم موالى
- الأثر النفسى السئ الناتج عن التبعية العربية للفرس وسوء معاملة الفرس لهم واعتبارهم عبيد لكسرى.

وإلى شئ من التفصيل:-

قضية خوزستان أو عربستان:

مساحة عربستان٣٢٤ ألف كيلو متر مربع أي تساوي تقريبا مساحة سوريا ولبنان والأردن وفلسطين مجتمعة وهي تقريبا ربع مساحة إيران١,٦٤٠,٠ كيلو متر مربع لكن الجغرافيا تقول أيضا إن٨٠% من المساحة الإيرانية صحاري جرداء, بينما أراضي عربستان شديدة الخصوبة وترويها خمسة أنهار كبيرة تنبع من جبال زاجروس وجبال البختياري وأهم هذه الأنهار نهر الكارون ونهر الكرخة ونهر الجراحي وهي تخترق أراضي عربستان لتصب في الخليج العربي, وهناك أيضا عدد من البحيرات تمتد لآلاف الكيلومترات المربعة وهي مصدر حيوي لمزيد من المياه وللصيد وباختصار فإن عربستان تمتلك نصف المخزون العام من مياه الري والشرب لإيران وقد أقامت الحكومة الإيرانية قرابة العشرين سدا علي هذه الأنهار لتستخدم مخزونها من المياه في الري وفي مياه الشرب لمختلف محافظات إيران,

بينما ـ وهذه مفارقة مؤسفة ـ تترك عربستان دون مياه شرب نقية ومن هذه السدود تولد كميات هائلة من الكهرباء, تنقل مباشرة لتضيء الشوارع والمنازل ولتشغيل المصانع في المناطق الإيرانية, بينما تترك كل عربستان بلا إضاءة وبلا مصانع, ومادمنا في ساحة الجغرافيا فإننا نري أن أغلب الموانيء والمنافذ البحرية التي تصل إيران بالعالم الخارجي تقع أيضا في عربستان.

ثم نأتي بعد ذلك إلي الاقتصاد ونستعين بالأرقام الإيرانية الرسمية, التي توضح أن عربستان تنتج٥٠% من الإنتاج الإجمالي لإيران من القمح٩٠,٠% من إنتاج التمور ولأن الأرقام الرسمية الإيرانية تتجاهل ذكر أرقام محددة عن مساهمة عربستان في إجمالي الدخل العام لإيران فإن مصادر محايدة تقول أن حصة عربستان من إجمالي المحاصيل الزراعية والمياه والموانيء والبترول والغاز تمثل أكثر من٤٠% من مجموع الناتج الإجمالي الإيراني, ورغم ذلك فإذا كان مجمل سكان الجمهورية الإيرانية٧٠ مليون نسمة فإن١٢ مليونا منهم أي مواطني عربستان, يعيش أغلبهم تحت خط الفقر بكثير, وإذا كانت الأرقام الرسمية الإيرانية تقول إن١٣% من السكان في عام٢٧ يعيشون في فقر مدقعفإن عملية حسابية بسيطة توضح أن الغالبية العظمي من هؤلاء هم من سكان عربستان. (١)

وتتضاعف أهمية ثروات عربستان بالنسبة لإيران إذا علمنا أن هذه المنطقة تنتج٨٥% من البترول والغاز الطبيعي لإيران وما يقارب٧٥% من إنتاج إيران من الكهرباء وبالتالي فإن هذا البترول المتدفق ليضخ لإيران أهم ثرواتها٤ ملايين برميل يوميا بما يضع إيران في المرتبة الثانية لدول أوبك, بالإضافة إلي أن كميات الغاز الطبيعي الهائلة تأتي من عربستان بينما يحرم سكانها من أبسط مقومات الحياة ولعل هذه الأرقام هي التي تدفع الجمهورية الإيرانية الإسلامية إلي نسيان أي شيء في سبيل قهر الشعب الأحوازي وإسكات صوته وإسكات أي صوت عربي للدفاع عنه ويجري اضطهاد سكان عربستان اضطهادا منظما ومستمرا ومنهجيا بما دفع حوالي٤ ألف من أبناء عربستان أي٥% منهم للهجرة إلي الخارج.

وأسوأ الحلول فهو ما تصمم عليه إيران فهي تقول أنها تواجه الاحتلال الصهيوني للشعب الفلسطيني المسلم بينما هي تضطهد شعب عربستان المسلم وتقول أنها تواجه الامبريالية الأمريكية التي تحرم شعوبا مسلمة من حريتها ومن حقها في تحرير المصير

بينما هي تفعل نفس الشيء بالنسبة لشعب عربستان وهي تعلن أنها ترفض احتلال أمريكا للعراق بينما وعلي بعد خطوات من العراق تمارس احتلالا شديد القسوة لشعب آخر وأخطر ما يواجه إيران في هذه الظروف الدولية الصعبة هو أن تفقد مصداقيتها أمام شعوب المنطقة وتتبدي ليس كقوة تحرير وتقدم وتوحيد للمنطقة, وإنما كقوة احتلال وتخلف وتمزيق للمنطقة ومن ثم لامناص من إعادة الأرض لأصحابها والحرية.

الخلاف العقائدى:

الخلاف السني الشيعي خلاف تاريخي بين أكبر طائفتين إسلاميتين، أهل السنة والجماعة والطائفة الشيعية والخلاف بين الطائفتين يتركز في عدة أمور، منها ما هو متعلق بالعقيدة ومنها ما هو متعلق بالمسائل الفقهية والنقاط الرئيسة للخلاف:

١- الخلافات العقائدية:

وتركزت نقاط الخلاف فى بعض المسائل منها عدل الصحابة والإمامة والعصمة ورأيهم فى السيدة عائشة وجواز الاستعانة والاستغاثة بغير الله فعند الشيعة العصمة للأنبياء وأهل البيت والأئمة الإثنى عشر وعند السنة للأنبياء فقط-عدالة الصحابة عند الشيعة بعضهم عادل والبعض الآخر منافق أو مرتد وعند السنة كلهم عدول، وحبهم واجب- أم المؤمنين عائشة عند الشيعة يرون انها خالفت شرع الله وخرجت على امام زمانها ولم تحقن دماء المسلمين وكانت تؤذي الرسول وعند السنة عائشة أم المؤمنين، ويترضون عنها، وأنها أحب الناس إلى الرسول، وأنها بريئة مما نسب إليها في حادثة الإفك والإمامة فعند الشيعة الإمامة منصوص عليها ومحددة من قبل الله وعند السنة الإمامة لم يتم تحديدها من قبل **الله** وأن الإمامة فضل من **الله** يتفضل به على من يشاء من عباده وليست خاصة لأحد.

- الاستغاثة والتوسل فعند الشيعة تجوز الاستغاثة بغير الله ، ويعتقدون أن أئمتهم يعلمون الغيب بإذن الله وعند السنة لا واسطة بين الله وبين عباده، ولا يرون جواز دعاء غير الله أو الاستغاثة بغيره، وأنه لا يعلم الغيب إلا الله وأن الدعاء والطلب لا يكون إلا لله تعالى ولا يجوز لغيره، وأنه هو وحده الذي يملك الخير والشر، فليس لأحد معه سلطة ولا تصرف، حيا كان أو ميتا.

٢- الخلافات الفقهية وتتركز في بعض النقاط منها :-

- مسألة الخمس
- السجود على التربة الحسينية، حيث يؤمن الشيعة بعدم جواز السجود أثناء الصلاة الا على الأرض من رمل وحجر وتراب وكذلك على ما تنبت الأرض من غير المأكول ولا الملبوس, وان السجود على الملابس والاقمشة والأفرشة من سجاد ونحوها وكذلك على المعادن أمر غير جائز، بينما يرى أهل السنة والجماعة أن هذا من الأمور المحدثة في الدين، حيث لم يفعلها الرسول ولا الصحابة بما فيهم علي والحسين.
-مسألة وضع اليدين على الصدر في الصلاة: حيث يرى أهل السنة والجماعة أن من السنّة وضع اليدين على الصدر في الصلاة (اليمنى فوق اليسرى)، بينما لا يرى الشيعة ذلك.

تاريخ الخلاف:

يرى البعض أن جذور الخلاف الرئيسي بين السنة والشيعة تعود إلى أكبر وأول أزمة مر بها التاريخ الإسلامي، وهي الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان بن عفان، هذه الفتنة وما خلفته وراءها من نزاعات عنيفة لاسيما بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب الخليفة الراشد الرابع كانت السبب الرئيسي وراء تفتت المسلمين وكان الموقف الأساسي لمعظم الصحابة هو محاولة إنهاء هذه الفتنة وأخذ موقف حيادي من النزاع، ولعل أكبر ممثل لهذا الاتجاه عبد الله بن عمر الذي صرح بهذا الموقف مرات عديدة هذه الحيادية، وإن كانت تميل في الكثير من الأحيان لإعطاء الأحقية في النزاع لعلي دون معاوية، إلا أنها في النهاية تنحو نحو المساواة بين كافة الصحابة وعدم الخوض في تفسيق أحد أخذاً بالقول أن (المجتهد إذا أخطأ فله أجر، وإذا أصاب فله أجران) فالانقسام في تلك الفترة بدأ على أنه سياسي، والبعض يرى أن لعبد الله بن سبأ ضلع كبير في الفتنة لكن الخلاف أصبح عقائدياً، والبعض يتهم الدولة الصفوية بإثارة الخلافات العقائدية بين المسلمين

الصدامات في حقب التاريخ:

على مدار التاريخ حدثت العديد من الصدامات بين الشيعة والسنة تبادل فيها كلا الطرفين الإتهامات فيرى الشيعة اضطهاد سني لهم في التاريخ، خصوصاً في العصر الأموي والعباسي والعثماني، وفي مقابل هذا الاضطهاد قامت ثورات شيعية أشهرها ثورة القرامطة وثورة النفس الزكية وغيرها ولكن الصدام الذي تسبب في شق وحدة المسلمين كما يرى حسن العلوي وعلي شريعتي هو صراع الدولة العثمانية مع نظيرتها الصفوية، فالدولة الصفوية استغلت اضطهاد العثمانيين للشيعة واستمالت بعض رجال الدين البارزين في تلك الفترة أمثال علي الكركي الذي أصبح الحاكم الفعلي في زمن الشاه طهماسب، فعمل على تأليف كتابه الشهير نفحات اللاهوت في شتم الجبت والطاغوت الذي اعتبره الكاتبان حسن العلوي وعلي شريعتي بداية الخلاف العقائدي ويقول حسن العلوي أن المرجع الشيعي في النجف في تلك الفترة إبراهيم القطيفي عارض بشدة علي الكركي وصنف حسن العلوي إبراهيم القطيفي في خانة التشيع العلوي.

وكانت هناك فتاوى في تكفير السنة للشيعة، فبعض علماء المدرسة السلفية يكفرون شخصيات بارزة في الطائفة الإثنا عشرية. وهناك من السلفية من يعارض التقارب ويرفضون المعتقد الاثنا عشري مستندين لأقوال قدامى علماء السنة مثل: البخاري ومالك والقرطبي وأحمد بن حنبل وابن كثير ، وأئمة السنة من الصوفية مثل أبوحامد الغزالي وعبد القادر الجيلاني ، وأبو الحسن الأشعري والإسفراييني

وهناك معتدلون من الطرفين قال حسن العلوي عن محمد حسين فضل الله انه شكك في كثير من الروايات التي تبغض الصحابة وأيضاً كان لمحمد حسين كاشف الغطاء رأي مختلف واتضح هذا جلياً في كتاب أصل الشيعة وأصولها، وعبد الحسين شرف الدين وهناك أيضا المؤرخ الشهير هاشم معروف الحسني وغيرهم، وأصدرت إيران قرارها بمنع طباعة ثلاثة أجزاء من بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي الذي يسئ للصحابة وقام العديد من العلماء بمحاولة التقريب بين المذاهب بدأها محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وتبلورت بتأسيس جمعية التقريب بين المذاهب.

الصراع في العصر الحديث:

وفي العصر الحاضر ساعدت الثورة الشيعية في إيران الجماعات الشيعية في الدول العربية على تأجيج الخلاف بين السنة والشيعة بعد فشل الثورة في الخروج من حدود إيران كما أخذت المواجهة بين السنة والشيعة تتراوح بين صراع فكري يتمثل في محاولة استقطاب الفريقين لأكبر كم من الأتباع من الفريق الآخر، إلى الصراع السياسي والمواجهات المسلحة على سبيل المثال يعزي المحللين التفجيرات في المدن العراقية نتيجة صراع بين الجماعات السنية مثل تنظيم القاعدة وغيرها وبين التيار الشيعي الصدري مقتدى الصدر وكذلك الصراع بين الحكومات السنية وجماعات حزب الله الشيعية في لبنان والبحرين والكويت، وسبب هذا الصراع رغبة كل جماعة فرض سيطرة مذهبها في أوسع نطاق ممكن من العراق والدول المحتوية على نزاعات وربما بتأثيرات إقليمية كما يراه المحللون مثل محاولة تمثيل نفوذا سياسيا لإيران في الدول العربية وكذلك التمييز الديني الذي يعانيه الشيعة من الإثنا عشرية والإسماعيلية في المملكة العربية السعودية وما يعانيه السنة الإيرانيين في جمهورية إيران بعد الثورة من اضطهاد وتميز مذهبي ضدهم وبالرغم من هذا فأن أكثر الدول يتعايش الشيعة والسنة فيها بشكل قد يخلو تقريبا من الحدة أو النزاع المسلح تماما وخصوصا في الإمارات والكويت والمملكة العربية السعودية وعمان والعراق قبل الغزو ونجد على النقيض من ذلك العراق بعد الغزو وإيران ولبنان.

عرب ايران:

إقليم الأحواز وبالفارسية اهواز هو إقليم عربي يقع على السواحل الشرقية للخليج العربي، ابتداءً من مضيق هرمز إلى شط العرب كان الإيرانيون في الماضي يسمونه عربستان أي بلد العرب تمثل هذا الإقليم تقريباً محافظات إيران الثلاثة: محافظة خوزستان ومحافظة هرمزگان و محافظة بوشهر.

فالأحواز هي جمع لكلمة حوز، وهي مصدر للفعل حاز، بمعنى الحيازة والتملك، وهي تستخدم للدلالة على الأرض التي اتخذها فرد وبين حدودها وامتلكها والحوز كلمة متداولة بين أبناء الأحواز فمثلا يقولون هذا حوز فلان، أي هذه الأرض معلومة الحدود ويمتلكها فلان

وعند الفتح الإسلامي لفارس أطلق العرب على الإقليم كله لفظ الأحواز، وأطلقوا على العاصمة سوق الأحواز للتفريق بينهما أما الأهواز فهو اللفظ الفارسي لعجمة لسانهم، وإن كان هذا اللفظ قد تسرب إلى بعض الكتب العربية وفي العهد الصفوي سماه الفرس عربستان أي القطر العربي أما خوزستان فهو الاسم الذي أطلقه الفرس على الإقليم وهو يعني بلاد القلاع والحصون تلك التي بناها العرب المسلمون بعد معركة القادسية، وسمي به الإقليم مرة أخرى بعد الاحتلال الفارسي بأمر من رضا شاه عام ١٩٢٥م ويذكر الباحث الإيراني أحمد كسروي في تاريخ خوزستان في خمسمئة عام أن التاريخ الجيولوجي لأراضي كل من الأحواز والسهل الرسوبي من العراق متماثل، حيث تكونا من ترسبات نهري دجلة والفرات ونهر كارون وتفرعاته وهو ما أدى إلى ظهور الأراضي على جانبي شط العرب، وكونت بذلك مع سهول بلاد العراق وحدة قائمة بذاتها لها خواص مناخية متشابهة ويؤكد أن العلاقات المكانية الطبيعية التي تربط بين عربستان وإيران تكاد تكون معدومة؛ إذ ليست هناك أي علاقة في التكوين الطبيعي بين سهل عربستان وهضبة إيران الجبلية ويمتد الإقليم ما بين جبال زجروس ذات الممرات الجبلية الضيقة حيث تفصل هذا الإقليم عن بلاد الفرس والخليج العربي ويقول د. صلاح العقاد: أما الساحل الشمالي الشرقي الذي يكوّن الآن الساحل الإيراني، فيمتد على طوله نحو ألفي كيلومتر: سلسلة عالية من الجبال الصعبة المنافذ إلى الداخل، مما عزل سكان الفرس والسلطة المركزية فيها عن حياة البحر ولقد اشتهر الفرس منذ غابر الزمن بخوفهم من حياة البحار، حتى قال بعض مؤرخين العرب ليس من الخليج شيء فارسي إلا اسمه وعلى ذلك فإن ذيوع اسم الخليج العربي الآن قد جاء موافقا لحقيقة جغرافية ثابتة فيما قامت بينه وبين العرب أوثق الصلات قبل الإسلام وبعده وسكنت الشعوب السامية المهاجرة من شبه الجزيرة العربية هذا الإقليم منذ فجر التاريخ.

وأكثر الأحوازيون اليوم ينحدرون من أصول عربية ويليهم اللور نسبة إلى لورستان المجاورة ثم الفرس و تعود أصول العرب الأحوازيون إلى قبائل بني كعب وبني طرف (طيء) والزرقان والباوية وبني تميم وبني أسد وبني لام وآل خميس وآل كثير ويشكل العرب حوالي ٧% من سكان إيران وغالبية العرب في شمال الإقليم ينتمون للمذهب الشيعي الذي دخل إليهم من الدولة الصفوية.

بينما حافظ سكان جنوب الإقليم على مذهبهم السني بسبب صلاتهم القوية بالإمارات والقبائل العربية غرب الخليج العربي و يعود تاريخ الأحواز إلى العهد العيلامي قبل ٥٠٠٠ سنة ماضية حيث كان العرب العيلاميون أول من استوطن عربستان واستطاع العيلاميون عام ٢٣٢٠ق.م اكتساح المملكة الأكّادية واحتلال عاصمتها أور ثم خضعت للعرب البابليين ثم الآشوريين، وبعدهم اقتسمها العرب الكلدانيون والميديون ثم غزاها الأخمينيون بقيادة قورش عام ٥٣٩ق.م وتركوا للسكان حرية اتباع قوانينهم الخاصة ثم خضعت المنطقة للإسكندر الأكبر وبعد موته خضعت للسلوقيين منذ عام ٣١١ق.م ثم للبارثيين ثم الأُسرة الساسانية التي لم تبسط سيطرتها على الإقليم إلا في عام ٢٤١م وقد قامت ثورات متعددة في الإقليم ضد الغزاة الفرس مما اضطر هؤلاء إلى توجيه حملات عسكرية كان آخرها عام ٣١٠م حين اقتنعت المملكة الساسانية بعدها باستحالة إخضاع العرب، فسمحت لهم بإنشاء إمارات تتمتع باستقلال ذاتي مقابل دفع ضريبة سنوية للملك الساساني ويؤكد المؤرخ الأيراني احمد كسروي أن قبائل بكر بن وائل وبني حنظلة وبني العم كانت تسيطر على الاقليم قبل مجيء الاسلام وبعد الفتح الإسلامي انحلت هذه القبائل في القبائل العربية الأكبر منها والتي استوطنت المنطقة في السنوات الأولى للفتح الإسلامي الذي قضى على الأمبراطورية الساسانية.

وكذلك جنوب الأحواز سكنته قبائل عربية منذ قدم التاريخ، لكن بسبب قحولة تلك المنطقة فقد كان اعتماد عيشهم على البحر يقول الرائد الدانيماركي كارستن نيبور، الذي جاب الجزيرة العربية عام ١٧٦٢م: لكنني لا أستطيع أن أمر بصمت مماثل بالمستعمرات الأكثر أهمية، التي رغم كونها منشأة خارج حدود الجزيرة العربية، هي أقرب إليها أعني العرب القاطنين الساحل الجنوبي من بلاد الفرس، المتحالفين على الغالب مع الشيوخ المجاورين، أو الخاضعين لهم.

وبعد انتصار القادسية قام أبو موسى الأشعري بفتح الأحواز وظل إقليم الأحواز منذ عام ٦٣٧ إلى ١٢٥٨م تحت حكم الخلافة الإسلامية تابعاً لولاية البصرة، إلى أيام الوقت المغولي ثم نشأت الدولة المشعشعية العربية ١٤٣٦-١٧٢٤م، واعترفت الدولتان الصفوية والعثمانية باستقلالها ثم نشأت الدولة الكعبية ١٧٢٤-١٩٢٥م وحافظت على استقلالها كذلك وبعد تأهيل نهر كارون وإعادة فتحه للتجارة وإنشاء خطوط سكك حديدية.

مما جعل مدينة الأحواز مرة أخرى تصبح نقطة تقاطع تجاري وأدى حفر قناة السويس في مصر لزيادة النشاط التجاري في المنطقة حيث تم بناء مدينة ساحلية قرب القرية القديمة للأهواز، و سميت ببندر الناصري تمجيدا لناصر الدين شاه قاجار وبين عامي ١٨٩٧ - ١٩٢٥ حكمها الشيخ خزعل الكعبي الذي غير اسمها إلى الناصرية.

وبعد عام ١٩٢٠م، باتت بريطانيا تخشى من قوة الدولة الكعبية، فاتفقت مع إيران على إقصاء أَمير عربستان وضم الإقليم إلى إيران. حيث منح البريطانيون الامارة الغنية بالنفط إلى إيران بعد اعتقال الامير خزغل على ظهر طراد بريطاني حيث أصبحت الأهواز وعاصمتها المحمرة محل نزاع اقليمي بين العراق وإيران وادى اكتشاف النفط في الأهواز وعلى الاخص في مدينة عبادان الواقعة على الخليج العربي مطلع القرن العشرين إلى إلى تكالب القوى للسيطرة عليها بعد تفكك الدولة العثمانية، وبعد ذلك عادت تسميتها القديمة الأهواز بعد سقوط الاسرة القاجارية اثر الاحتلال الروسي لإيران وتولي رضا بهلوي الحكم في إيران ولم ينفك النزاع قائما على الأهواز بعد استقلال العراق حيث دخلت الحكومات العراقية المتلاحقة مفاوضات حول الاقليم وعقدت الاتفاقيات بهذا الصدد منها اتفاقية ١٩٣٧ومفاوضات عام ١٩٦٩ واتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ بين شاه إيران محمد رضا بهلوي ونائب الرئيس العراقي صدام حسين الذي ما لبث أن ألغى الاتفاقية أثناء الحرب العراقية الإيرانية بين عامي ١٩٨٠ - ١٩٨٨ غير أن غالبية الأحوازيين قاوموا القوات العراقية، إلا أن فصائل المقاومة الأحوازية برزت منادية بالاستقلال عن إيران معتبرين حادثة ضمهم مع إيران احتلال.

أما إمارة بوشهر فبقيت تحت حكم آل مذكور في ميناء ريك إلى عام ١٧٦٩ حيث احتلتها القوات الإيرانية وطردت العرب منها أما لنجة فقد كانت إمارة القواسم مسيطرة على تلك البلاد، وخاضت حروباً شرسة ضد المحتلين البرتغال والهولنديين واعتنق القواسم المذهب السني الوهابي ونجحوا في الإغارة على حاكم عمان الأباضي. إلا أن الفرس تمكنوا بمساعدة الإنجليز عام ١٨٩٨م (١٣١٦هـ) من احتلال تلك البلاد بعد قتال شديد مع حاكمها يوسف بن السيد جعفر وطردوا الكثير من العرب منها ومع ذلك فلا تزال غالبية السكان من العرب السنة إلى اليوم رغم الاضطهاد الذي يواجهونه

قتل إيران للعرب فى الأحواز:

ان السلطات الإيرانية تكثف هذه الأيام خناقها على المدن وأحياء الأحواز، حيث نصبت الكثير من نقاط التفتيش داخل وخارج المدن والأحياء السكينة، وقسمت الأحياء من خلال تواجد مكثف للجنود وقوات التعبئة في المدن والأحياء والشوارع حيث كشف أمين عام الجبهة الديمقراطية الشعبية الأحوازية ، عن جملة ممارسات وصفها بالوحشية تقوم بها السلطات الإيرانية تجاه أبناء الشعب الأحوازي العربي، تتمثل في خطف ناشطين وتعذيبهم في مقار الاستخبارات الإيرانية حتى يلقوا حتفهم، جراء التعذيب ليلقى بجثثهم لاحقا في نهر كارون، حيث يبلغ الأمن الإيراني ذويهم بأنه قد تم العثور على جثث أبنائهم ملقاة في النهر، وعند سؤالهم عن المتسبب في قتلهم، يزعمون بأنهم قد تعرّضوا للتصفية من قبل عصابات مجهولة كما أن الاحتلال الإيراني دائما ما يمارس حملات اعتقالات، فضلا عن تهجير الآلاف من المواطنين العرب من مناطقهم.

وكان أعضاء في مجلس الشيوخ الأمريكي نددوا في رسالة وجهوها إلى وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون بانتهاكات لحقوق الإنسان قالوا إن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد و٢٥ شخصية إيرانية أخرى يرتكبونها.

وكتب السيناتوران الجمهوريان مارك كيرك وجون كيل والديمقراطية كريستين جيليبراند والمستقل جو ليبرمان في الرسالة إننا نشجّعكم على تسمية الرئيس أحمدي نجاد كمسئول عن انتهاكات حقوق الإنسان.

وضع أهل السنة في إيران:

أهل السنة ، يشكلون الأغلبية في عدد السكان فى إيران، على الرغم من هيمنة معتنقي مذهب ولاية الفقيه الذي لا يعترف بأهل السنة، ويعاملهم أقل من التعامل الذي يجده المسيحيون، وحتى اليهود الذين يجدون مَن يدافع عنهم مثل الدول الغربية التي تراقب أي خرق من قبل نظام ملالي طهران ضد أي مسيحي أو يهودي، وللمسيحيين - ممثلين فيما يسمى بمجلس الشورى الإيراني - مثل اليهود وفق كوتة وهي نسبة لا تقل بأي حال ولا تخضع لمواصفات ما يسمى بمجلس صيانة الدستور الذي يجب على المرشحين من أهل السنة التقدم إليه عند الترشح لعضوية مجلس الشورى .

والمعروف أن إيران تتكون من قوميات وأعراق مختلفة، وإذا كان الفرس الذين يشكلون الأغلبية في هضبة فارس، وهي التي تشغل وسط إيران، فإن الأقوام الأخرى وهم الأكراد والبلوش والتركمان والأذريون والعرب يشكلون في مجموعهم أغلبية السكان، وجميع هؤلاء يتبعون مذاهب أهل السنة والجماعة، إلا نفراً قليلاً منهم تشيعوا نتيجة الإغراءات والقمع الذي تمارسه أجهزة نظام الملالي؛ فالأكراد جميعهم من أهل السنة، والبلوش لا تجد بينهم شيعياً، بل هم من المتمسكين بمذاهب أهل السنة والجماعة ويذودون عن مذهبهم بقوة على الرغم من تعرضهم لإجراءات قمع عديدة وحملات تصل في أحيان كثيرة إلى حد القتل .

أما التركمان والأذريون فهم أكثر ارتباطاً بتركيا وأذربيجان السنيتين من ارتباطهما بملالي طهران، ثم العرب الذين يقيمون في أراضيهم الممتدة من شمال الخليج حتى الجنوب الشرقي من إيران، وهم يضمون خليطاً من أهل السنة والشيعة، وقد لاحظ المتابعون للملف الإيراني أن كثيراً من شيعة العرب في الأحواز والمحمرة قد أخذوا يعودون إلى مذاهب أهل السنة بعد أن لاحظوا كيف يُعامل الفرس من حكام إيران الشيعة العرب من أهل الأحواز بسبب عنصريتهم؛ لأن أهل الأحواز يتمسكون بعروبتهم وانتمائهم العربي، فيما يعتبر نظام الملالي الانتماء إلى القومية الفارسية تأكيداً وولاءً لولاية الفقيه،وهذا ما دفع آلاف الأحوازيين إلى العودة إلى مذاهب أجدادهم التي تحولوا عنها بسبب الضغوط والقمع الذي مارسته الأقلية في أيام الشاه، واستمر عليه نظام الملالي بل صعد منه وزاد عليه، حيث تناقصت مساجد وجوامع أهل السنة ومنع إنشاء الجديد منها، بعد أن تهدم بالقدم، وبعضهم هدمته السلطات، كما أنه، وعلى الرغم من أغلبية أهل السنة فإنه لا يوجد أي وزير أو مسئول سني إيراني رغم تعدد الكفاءات وكثرة حملة الشهادات العليا عند الأكراد والبلوش والعرب والأذريين؛ فأهل الخبرة والعلم منهم مُحارَبون .

النزاع على تسمية الخليج:

عرف المسطح المائي الذي يقع إلى الشرق من شبه الجزيرة العربية وإلى الغرب من إيران بأسماء مختلفة عبر التاريخ وفيما تستعمل الدول العربية تسمية الخليج العربي، تصر إيران على استعمال تسمية الخليج الفارسي ترى إيران أن لها الحق في السيطرة على سائر الخليج العربي.

وتعتبر سواحله الغربية أنها كانت مستعمرات تابعة لمملكة الفرس قبل الإسلام، فيقول رئيس وزراء إيران سنة ١٩٤٤ حاجي ميرزا أجاسي: إن الشعور السائد لدى جميع الحكومات الفارسية المتعاقبة بأن الخليج الفارسي من بداية شط العرب إلى مسقط بجميع جزره وموانيه بدون استثناء وبدون منازع ينتمي إلى فارس كما أنها تعتبر الخليج الفارسي هي التسمية الوحيدة التي أطلقت على الخليج، وتنكر وجود أي اسم آخر. يقول نبيل خليفة، كاتب لبناني في الشؤون الاستراتيجية، في صحيفة دار الحياة بتاريخ ١٤/٠٨/٢٠٠٥ ليس الخلاف بين العرب والإيرانيين مجرد خلاف لفظي/اسمي وانما هو خلاف يعكس صراعاً سياسياً وقومياً ذا أبعاد ومضامين استراتيجية، خلاصتها من له الهيمنة على الخليج، على مياهه وجزره ونفطه ومواقعه الاستراتيجية وأمنه وثرواته.

معاداة اللغة العربية :

رغم كون اللغة العربية هي لغة القرآن وعلى كل مسلم أن يتقنها، وكما قال العالم الكبير أبو الريحان البيروني، ديننا والدولة عربيان توأمان، يرفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية، وكم احتشد طوائف من التوابع، وخاصة منهم الحيل والديلم في إلباس الدولة جلابيب العجمة فلم تنفق لهم في المراد سوق وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمسا، وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفا صفا، ويخطب به في الجوامع بالإصلاح، كانوا لليدين والفم، وحبل الإسلام غير منفصم، وحصنه غير منثلم كما أنه قال : الهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية(١) علما بأن هذا العالم الجليل لم يكن عربيا في النسب ولكنه أصبح عربيا في ثقافته وروحه وإنه في الأصل من خوارزم التي هي اليوم جزء من جمهوريتي أوزبكستان وتركمانستان هذا الموقف من المفروض أن يتبناه كل من يعتنق الدين الإسلامي، فما هو موقف ملالي طهران وقم؟

إننا نعلم أن أكثر من ١٥٠ صحافيا عربيا قابلوا الخميني، وكانوا يوجهون له الأسئلة باللغة العربية،ورغم إتقانه للغة القرآن الكريم، إلا أنه كان يجيب دائما باللغة الفارسية وعلى نفس هذا النهج سار جميع رجال الدين الصفويين ومنهم السيستاني وأتحدى من يستطيع أن يجد لنا تصريح أو خطبة لخميني أو للسيستاني أو لخامنئي باللغة العربية.

ففي عام ١٩٩٠ وفي الذكرى الأولى لوفاة الخميني اجتمع والدي الشيخ اسعد التميمي بالخامنئي في طهران وكنت مرافقا له فطلب والدي رحمه الله من الخامنئي أن يكون الحديث بينهما باللغة العربية وبدون مترجم فهي لغة القران وكليهما يتقنها وتكريما للغة القران فما كان من الخامنئي إلا أن انتفض وكأنه استفزه وأجاب بحدة أنا لا أتقن العربية وهو في الحقيقة يتقنها جيدا, وبفضل الله إن والدي رحمه الله افترق مع هذه الثورة فورا عندما اكتشف حقيقتها المذهبية القومية المتعصبة وأنه كان على خطا عندما ظن بها خيرا فكان من أشد أنصارها يجب علينا أن نذكر بموقف النظام الإيراني العنصري من إخواننا العرب في الأهواز، رغم كون أغلبيتهم من المذهب الشيعي، ولكن سبب معاملتهم بهذه الطريقة لكونهم يرفضون العنصرية الفارسية والمذهب الصفوي(١).

إن هذا النظام قام ويقوم بترحيل الكثير من سكان هذه المحافظة لإسكان فرس بدلهم لغرض تفريس هذه المحافظة العربية التي احتلتها إيران بالتنسيق مع بريطانيا عام ١٩٢٥ كما أن عمليات القتل والإعدام العنصري،المستمر وغير المبرر، وانتهاكات حقوق الإنسان تطال هؤلاء المواطنين دون أن يتحرك الضمير العالمي ، التي تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان، لكونها مرتبطة بالصهيونية العالمية حليفة ملالي طهران، وتلتقي معهم على هدف أساس هو القضاء على الأمة العربية أما أن نطلب من الأنظمة العربية أن تقف إلى جانبهم، فهذا حلم لا يحق لأحد منا أن يتخيله، لكونهم جميعا ألاعيب بيد الصهيونية وأمريكا.

قضية الجزر العربية:

وهذه الجزر، كما هو معلوم، هي أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى والتي استولى عليها شاه إيران، وكنا نأمل أن يقوم النظام الذي يدعي الإسلام بإعادتها لأهلها وإذا به، ليس يرفض إعادتها فقط ولكنه يطالب بضم بعض دول الخليج ومن حقنا أن نتساءل : هل أن ملالي إيران مستعدون للتنازل عنها لتعود إلى وطنها الأصلي؟

من خلال تصريحاتهم الكثيرة هم غير مستعدين لذلك إذ أن ما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة.

وللأسف أن الكثير من العرب والمسلمين السذج لازالوا مقتنعين بأن النظام الصفوي في إيران يدافع عن فلسطين والقضايا العربية فنقول لهم إذا كان هذا النظام يريد الدفاع فعلا عن القضايا العربية والإسلامية فلماذا إذا يتعاون مع الشيطان الأكبر في العراق وأفغانستان، ولماذا حارب مع الأحزاب المرتبطة به المقاومة العراقية البطلة؟ ولماذا لا يمنح أبسط الحقوق القومية لإخواننا العرب في الأهواز؟ ولماذا لا يعيد الجزر الثلاث لأهلها الشرعيين؟

تعتبر قضية النزاع بين دولة الإمارات العربية المتحدة وجمهورية إيران الإسلامية حول جزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى مدخلا إلى مرحلة جديدة من التوتر في منطقة الخليج العربي التي لم تعرف الاستقرار خلال أكثر من عقدين من الزمن، ويعود سبب التوتر بين إيران ودول الخليج العربية إلى حقيقة أن إيران ترفض حتى الآن مناقشة موضوع الجزر التي احتلتها عام ١٩٧١، أو بحثه حيث عقدت جلسات عدة لمحاولة حل المشكلة سلميا بين الطرفين، إلا أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل.

وموضوع الجزر العربية بدأ يطفو على سطح السياسة الخليجية والعربية مرة أخرى، إذ تم بحثه في اجتماع القمة الخليجية التي عقدت في البحرين في ديسمبر١٩٩٤ كما كان للقضية حضور بارز في الدورة التاسعة والأربعين للجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك وتعود أهمية الجزر العربية الثلاث أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى إلى موقعها الجغرافي المهم، إذ أنها تقع عند مدخل مضيق هرمز في الخليج العربي، الذي يعتبر أحد أهم المضائق في العالم، فالدولة التي تسيطر عليها يمكنها التحكم في منطقة الخليج العربي كله بسهولة والمصادر قد اختلفت في تحديد المسافة بين هذه الجزر والساحلين العربي والإيراني[١]، فالجانب العربي يرى أنها أقرب إلى سواحله بينما يرى الجانب الإيراني عكس ذلك.
١- جزيرة أبو موسى:تقع جزيرة أبو موسى على بعد ٩٤ ميلاً من مدخل الخليج العربي عند مضيق هرمز، وتبعد نحو ٧٥ كم عن الساحل الإيراني، بينما تبعد عن الساحل العُماني نحو ٤٨ كم قبالة إمارة الشارقة، وكان يقطن جزيرة أبو موسى قبل الاحتلال الإيراني نحو ١٠ نسمة من العرب، وفيها مدرسة ابتدائية وجمرك ومسجد وقصر لنائب حاكم الشارقة، وكان سكان الجزيرة. يعملون في صيد الأسماك والرعي وتتوافر في الجزيرة معادن مثل رواسب أكسيد الحديد والنفط.

٢- جزيرة طنب الكبرى: تقع جزيرة طنب الكبرى على بعد ٥٩ كم جنوب غربي جزيرة قشم، وعلى بعد ٧٨ كم شمال غرب جزيرة الحمراء، يبلغ طول قطرها نحو ٣،٥ كم ومساحتها نحو ٩ كم مربع ويعمل سكانها البالغ عددهم ما بين ٢ - ٧ نسمة في الرعي وصيد الأسماك، ويوجد فيها مدرستان وفنار لإرشاد السفن، ويتوافر فيها النفط، وهي تابعة لإمارة رأس الخيمة.

٣- جزيرة طنب الصغرى: تبعد هذه الجزيرة مسافة ٩٠ كم عن الساحل العربي و١٣ كم عن جزيرة طنب الكبرى، وتتكون الجزيرة من ٣ تلال داكنة اللون،وتسكن فيها طيور بحرية، وهي خالية من السكان، وتتبع إمارة رأس الخيمة وعند سقوط دولة اليعاربة في عمان برز نجم دولة القواسم الذين حكموا الساحل العماني، والذين نشطوا في بعض أجزاء إيران الجنوبية منذ بداية القرن الثامن عشر من خلال فرع قبيلة القواسم التي بدأت من رأس الخيمة إلى الساحل الإيراني .

لقد اعترف المؤرخون الإيرانيون بنشاط القواسم وسيطرتهم على جزء من جنوب إيران والجزر العربية، حيث ذكرت مجلة كيهان العربي تقول: قبل الخوض في أسباب الصراع حول ملكية الجزر الثلاث لابد من العودة إلى أواسط القرن الثامن عشر، فبعد موت نادر شاه في عام ١٧٤٧ انحسر النفوذ الإيراني في منطقة الخليج الفارسي، وهذا الأمر مهدّ الأرضية المناسبة لبدء التوغل القاسمي في المنطقة والقواسمة أو الجواسمة هي عشيرة عربية قطنت الشارقة ورأس الخيمة، ثم توجه فخذ من هذه العشيرة إلى إيران فاستقر في بندر لنكة، واستنادا الى مصدر تاريخي إيراني فإن رئيس هذا الفخذ المدعو الشيخ سعيد بن قضيب استطاع أن يستحوذ على إمرة هذا الميناء لقاء ألفي ريال إيراني، وذلك إبان حكم الزنديين، وبعده تناوب أولاده على إمرة الميناء من خلال تسديد بعض الإيجارات الشهرية، ولما كانت جزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى تابعة لبندر لنكة فإن القاسميين استقر لهم الأمر فيها خلال تلك الحقبة وواضح جداً أن المصادر الإيرانية تعترف بسيطرة القواسم على الجزر العربية وغيرها، ولكنها أرادت أن تشوه ملكية العرب لهذه الجزر بالقول بأن حكام هذه الجزر كانوا يتقاضون رواتب من إيران نظير اهتمامهم بميناء لنكه العربي قبل أن تستولي إيران عليه.

لقد امتد نفوذ القواسم في القرن الثامن عشر إلى الساحل الشمالي، حيث استقر بعضهم في منطقة لنكه ووضعوا الجزر الثلاث والساحل المحاذي للخليج تحت سيطرتهم، وحدث في تلك الأثناء تقسيم عرفي عام ١٨٣٥ بين القواسم وهم الحكام الحاليون في الشارقة ورأس الخيمة لملكية جزر الخليج بحيث أصبحت جزيرتا صري وهنجام تابعتين لقواسم لنكه، وجزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى وصيرن ونعير تابعة لقواسم ساحل عمان، أي رأس الخيمة والشارقة ومن الدلائل الأكيدة على عروبة الجزر العربية هو ما أكده المقيم البريطاني في بوشهر عام ١٨٧٩ حيث أكد أن جزيرتي طنب ولنكه كانتا تابعتين لسيادة القواسم وفي عام ١٨٨٧ احتلت إيران إمارة لنكه العربية ومدت نفوذها وسيطرتها على جزيرتي صري وهنجام، وهي جزر عربية تابعة للقواسم تقع في الغرب من جزيرة أبو موسى ومقابلة لها تماما وفي عام ١٨٨٧ بدأت إيران مطالبتها بجزيرتي صري وأبو موسى، لكن بريطانيا، عبر وزيرها المفوض في طهران ردّت على إيران بالقول بأن الجزر عربية يملكها شيوخ العرب الذين يرتبطون بمعاهدات خاصة مع بريطانيا، وهم تحت الحماية البريطانية، وهي المسئولة عن شئونهم الخارجية .

أما المطالبة الإيرانية الحديثة بالجزر العربية فبدأت في عام ١٩٢٣ عندما اكتشفت شركة الوادي الذهبي كميات من الأكسيد الأحمر في جزيرة هرمز، وأرادت هذه الشركة أن تمد نشاطها إلى جزيرة أبو موسى، فقامت طهران باحتلال الجزيرة ورفع العلم الإيراني وفي عام ١٩٢٥ لكن بريطانيا أعلنت مرة أخرى بأن هذه الجزر عربية ولقد بذلت إيران محاولات عدة أخرى في بداية هذا القرن لاحتلال الجزر، لكن بريطانيا منعتها من ذلك واستغلت إيران انسحاب القوات البريطانية من الخليج وإعلان استقلال دولة الإمارات، فاحتلت الجزر العربية الثلاث في ٣٠ نوفمبر ١٩٧١بعد ساعات قليلة من استقلال دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث اجتاحت قوات الشاهنشاه جزر الإمارات بدعوى استرجاعها الى الوطن الأم إيران ويجب التذكير هنا بأن شاه إيران قد أعلن بتاريخ ١٩٧١/٢/١٦ عن رغبة بلاده في احتلال هذه الجزر بالقوة، إذا اقتضى الأمر في حالة فشل الوسائل السلمية لتسليم هذه الجزر الى إيران قبل حلول موعد الانسحاب العسكري البريطاني النهائي من الخليج العربي في نهاية تلك السنة ومن المفارقات الغريبة هي ان بريطانيا وعدت إيران بتسليمها جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى في حالة انسحاب بريطانيا من الخليج، وهذا ما ذكره وزير البلاط الإيراني في مذكراته هذا الحوار مع السفير البريطاني في طهران.

ونتيجة الوساطة التي قامت بها بريطانيا القوة الحامية لإمارات الخليج آنذاك تم التوصل إلى الإجراءات والترتيبات التالية:
١- إنزال القوات الإيرانية على الجزيرة وقيام هذه القوات باحتلال المناطق التي تم الاتفاق عليها على الخارطة التي أرفقت مع هذه المذكرة.
٢- (أ) ستمارس إيران السيادة التامة ضمن المناطق التي تم الاتفاق على احتلالها من قبل القوات الإيرانية ورفع العلم الإيراني عليها.
(ب) تحتفظ الشارقة بسلطتها التامة على ما تبقى من الجزيرة، وسيبقى علم الشارقة مرفوعا على مركز شرطة الشارقة استنادا إلى الأسس نفسها المعمول بها بالنسبة إلى رفع العلم الإيراني على الأماكن العسكرية الإيرانية.
٣- تعترف كل من إيران والشارقة بامتداد المياه الإقليمية للجزيرة إلى مسافة ١٢ ميلا بحريا.
٤- تقوم شركة بيوتز غاز أند أويل كومبني باستغلال الموارد النفطية لجزيرة ابو موسى وقاع البحر استنادا إلى الاتفاقية القائمة، والتي يجب ان تقبل بها إيران وتقوم الشركة بدفع نصف العوائد النفطية للاحتياط المذكور مباشرة إلى إيران والنصف الآخر يدفع إلى الشارقة.
٥- يتمتع مواطنو إيران والشارقة بحقوق متساوية للصيد في المياه الاقليمية لجزيرة أبو موسى.
٦- سيتم التوقيع على اتفاقية للمساعدة المالية بين إيران والشارقة وعلى الرغم من أن إنزال القوات الإيرانية على جزيرة أبو موسى قد تم تنفيذا لنصوص هذا الاتفاق إلا أن دولة الإمارات العربية المتحدة وبعض الدول العربية الأخرى شجبت هذا العمل العدواني لاحتلال الجزر، فأصدرت دولة الإمارات بيانا بهذا المضمون يوم ٣ ديسمبر ١٩٧١ انتقدت فيه الاحتلال الإيراني وشجبته لاستخدامها القوة باحتلال جزء من الأراضي العربية، ودافعت فيه عن احترام الحقوق المشروعة وضرورة مناقشة اية خلافات بين الدول وحلّها بالطرق السلمية.
ومن الجدير بالذكر ان توقيع الاتفاق القسري بين حاكم الشارقة وحكام إيران آنذاك، قد تم تحت الضغوط والتهديد باحتلال هذه الجزر بالقوة في حالة عدم التوصل الى حل مرض لصالح إيران، وفي هذه الحالة من الممكن اعتبار هذه الاتفاقية لاغية في ظل ذلك التهديد المنافي لمبادئ القانون الدولي التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة، استنادا الى المادة ٥٢ من اتفاقية قانون المعاهدات، وكان حاكم رأس الخيمة قد رفض الاستجابة للمطالب الإيرانية بشأن جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى التي احتلتهما إيران في اليوم نفسه بالقوة.

ثالثا: عدم مشروعية التغيرات الاقليمية الناتجة من استخدام القوة في ظل القانون الدولي الحديث:

يتميز القانون الدول الحديث، على نقيض سلفه بتعدد أشخاصه واتساع وظائفه وتنوع موضوعاته فلم تعد الدول هي وحدها أشخاص القانون الدولي الحديث فهنالك كيانات أخرى تؤدي دورا فاعلا ومؤثرا في مجرى العلاقات الدولية، ولها أهلية تملك الحقوق وأداء الالتزامات كحركات التحرر الوطنية والمنظمات الدولية والشركات غير الوطنية، وأيضا الفرد في حالات معينة كلما اتسعت وظائفه، فلم يعد القانون الدولي قانون السلطة وقانون التعايش وقانون التبادل، فهو يؤدي اليوم وظائف اشمل وأوسع، فهو قانون التعاون وقانون التناسق الخ

وقد توجت هذه الجهود بإعلان ميثاق الأمم المتحدة الصادر في السادس والعشرين من يونيو عام ١٩٤٥ التي نصت مادته الثانية في فقرتها الرابعة على أن يمتنع أعضاء الهيئة جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة، أو استخدامها ضد سلامة الأراضي، أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة .

وفي مارس عام ١٩٩٢ قام رئيس إيران هاشمي رافسنجاني بزيارة مفاجئة لجزيرة أبو موسى، وتعتبر هذه الزيارة أول زيارة يقوم بها رئيس إيراني إلى الجزيرة منذ احتلالها وشقيقتيها طنب الكبرى وطنب الصغرى من طرف إيران في عام ١٩٧١وعقب هذه الزيارة، بادرت السلطات الإيرانية إلى اتخاذ سلسلة من الإجراءات الإدارية سعت إيران من ورائها إلى تأكيد سيطرتها وفرض هيمنتها على كل تراب الجزيرة، وعلى الأشخاص المقيمين على أرضها، في خطوة منها نحو ضمها الى أراضيها ضماً واقعياً فمنعت رعايا دولة الإمارات العربية المتحدة الموجودين في الجزيرة، وهم سكان الجزيرة الأصليون، وكذلك الوافدون العرب والأجانب من التجول في الجزيرة إلا ضمن كيلومتر واحد داخل المنطقة الجغرافية التي يوجد فيها السكان العرب ومرافق الخدمات الحكومية الاتحادية في أبى ظبي كما فرضت السلطات العسكرية الإيرانية في الجزيرة سلسلة من الإجراءات الأمنية والإدارية على سفن الصيد التابعة لمواطني الاتحاد.

وعلى الخصوص السفن المملوكة لسكان الجزيرة كمنعها من الصيد بحرية في المياه الإقليمية للجزيرة، إلا بتصاريح صادرة عنها تجدد كل خمسة أيام وفي إطار إجراءاتها الاستفزازية الهادفة إلى التضييق على السكان المحليين في وسائل كسب رزقهم، قامت السلطات العسكرية الإيرانية في الجزيرة بإغلاق جميع المحلات التجارية التي كان يبلغ عددها ثمانية عشر محلا تجاريا، ولم يبق سوى محل واحد هو الجمعية الاستهلاكية التي لا تتوافر فيها احتياجات جميع السكان واستكمالاً لإجراءات التضييق على الحياة للسكان، منعت السلطات العسكرية الإيرانية إدخال أي شيء إلى الجزيرة مهما كان صغيرا، إلا بتصريح من القائد العسكري الإيراني هناك، كما شددت عمليات التفتيش للقادمين من سكان الجزيرة من أبناء الإمارات أو العاملين فيها في ظروف اقل ما يقال عنها أنها لا إنسانية تفرض دونما ضرورة عسكرية ملحة أو دواع أمنية جادة، وفي ظروف مناخية صعبة سواء في الصيف أو في الشتاء (تدل الوقائع التاريخية على أن السلطات الإيرانية لجأت أكثر من مرة إلى مضايقة سكان الجزيرة في مصدر رزقهم بزعم أنهم يستخدمون الجزيرة كمركز لتهريب بعض السلع التي تحتكرها الدولة الإيرانية كالسكر والشاي والتبغ ولم تكتف السلطات الإيرانية بهذا القدر من الاجراءات، بل عمدت إلى منع المواطنين من بناء مساكن جديدة أو مرافق خدمات، أو حتى ترميم بيوتهم القديمة إلا في حدود ضيقة جدا، كما رفضت السماح بتوصيل خدمات الهاتف الى الجزيرة، حيث لا يوجد في المنطقة التي يقطنها العرب إلا هاتفان، احدهما في مخفر الشرطة، والآخر في منزل والي الجزيرة المعين من قبل حاكم الشارقة، أو السماح بإنشاء العيادات الطبية وعمليات الإخلاء الجوي للمرضى إلى المستشفيات في الإمارات مهما كانت طبيعة الحالة المرضية وفي محاولة من السلطات الإيرانية لفرض سيادة واقعية على الجزيرة قامت بمنع إدخال سيارات تحمل لوحات إماراتية، كما منعت رفع علم الإمارات فوق الجزيرة خلافا لما تنص عليه مذكرة التفاهم بين حكومتي الشارقة (الإمارات) وإيران عام ١٩٧١ ووسعت السلطات من نطاق منطقة وجودها العسكري، وفي الجزيرة التي تبلغ مساحتها ٣٢ كم مربع تقريبا وفي نطاق هذا التوسع، قامت ببناء قرية إيرانية نموذجية، وأقامت نقاطا عسكرية في المنطقة العربية ، واحتلت مواقع في منطقة مناجم أكسيد الحديد الأحمر في الجزر الشرقي منها المعروف بمنطقة الخلوة وتشير مصادر دبلوماسية في أبى ظبي إلى أن إيران عززت قواتها العسكرية في الجزيرة، وزادت أعداد العسكريين من ١٢٠ إلى ٥٠٠ عسكري.

ونصبت قواعد لصواريخ سيلك وورم الصينية الصنع ولكن لماذا صعدت إيران من تجاوزاتها في جزيرة ابو موسى في هذا الوقت بالذات؟ سؤال طرحه أكثر من مراقب ومهتم بشئون العلاقات الإيرانية وتردد على لسان أكثر من شخص، لكن الإجابة عنه اختلفت اختلافا ينبىء عن أن السلوك السياسي لدولة ما لا يكون دائما نتاج عامل واحد فقط بل نتاج عوامل عدة تتضافر فيما بينها لتشكل في نهاية المطاف السلوك السياسي النهائي للدولة في علاقاتها الدولية في لحظة زمنية معينة.

يرى البعض أن تمسك إيران بجزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى واستكمال احتلالها لجزيرة أبو موسى هو رسالة تحذير إلى القوميات التي تتشكل منها الدولة الإيرانية، والتي تتطلع إلى الانفصال عن الوطن الأم وإعلان دولة قومية لها على غرار ما يحدث في دول آسيا الوسطى المجاورة لإيران، أو مثلما يجري في العراق وأفغانستان، أو مطالبات الأكراد في تركيا.. الخ ومؤدى هذه الرسالة أن إيران غير مستعدة للتفريط في أي جزء من أراضيها حتى لو كان هذا الجزء بعض جزر صغيرة لا تتعدى إجمالي مساحتها المائة كيلومتر مربع. ولا يخفي أصحاب هذا الرأي تخوفهم من حدوث مثل هذا الانفصال نظرا إلى تشكل الدولة الإيرانية من قوميات مختلفة، كالفرس والبلوش والأكراد والتركمان والأدريين والعرب، خصوصا أن النزعة الانفصالية قد بدأت تظهر لدى الأكراد الإيرانيين، وأن المضايقات الأمريكية والتركية لإيران في جمهورية أذربيجان تقلق إيران وتقض مضجعها.

مضيق هرمز بين العرب وإيران:

بموجب المادة ٣٨ من الاتفاقية الدولية لقانون البحار الذي تم إقراره بتاريخ ٣٠/ ٤/ ١٩٨٢ فإن جميع السفن العابرة للمضايق الدولية، سواء أكانت تجارية أم حربية، تتمتع بحق المرور العابر دون تمييز أو عراقيل وهذه المادة تعلمها جيداً إيران، ولكن الحديث في السياسة يبطل العمل بالقوانين الدولية خاصة إذا كانت هناك أجواء ملبدة بالتهديدات المتبادلة، حيث يعتبر كل فريق أن من حقه تجاوز الأعراف والقوانين والدساتير وإيجاد المبرر الذي يخدم مصالحه ومنافعه

ولعل هذا هو واقع الحال اليوم بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية مدعومة من حلفائها الأوروبيين حيث تتجه الأنظار نحو احتمال إقدام الغرب على فرض عقوبات على صادرات إيران النفطية والتي ردت طهران عليها بالتهديد بإغلاق مضيق هرمز ومعلوم أن معظم الواردات النفطية لأمريكا واليابان وكوريا الجنوبية والهند والصين ومصر وتايوان وتايلاند تمر عبر مضيق هرمز، أي ما يعادل نحو ٤٠ بالمائة من واردات النفط العالمية وفي حال تم إقفال مضيق هرمز فلن تحدث فقط أزمة اقتصادية عالمية خانقة بل سيرتفع سعر البرميل إلى أكثر من مائتي دولار؛ الأمر الذي سينعكس بدوره على أسعار كل السلع الأخرى سواء كانت أساسية أو من الكماليات.(١).

وستصاب الدول المصدرة للنفط بانتكاسة كبيرة، لأن صادرات نفط السعودية ستتوقف بنحو ٨٠ بالمائة، وصادرات العراق بنحو ٩٠ بالمائة، والإمارات بنحو ٩٥ بالمائة، وقطر والكويت بنحو ١٠٠ بالمائة، وحتى تصدير النفط الإيراني سينخفض بنحو ٥٠ بالمائة يضاف إلى ذلك توقف كل المستوردات القادمة إلى منطقة الخليج من الصين واليابان وكوريا الجنوبية وسنغافورة وتايوان وحتى تظهر إيران أنها جادة في تهديداتها فقد عمدت إلى إجراء مناورة عسكرية ضخمة تحت مسمى الولاية ٩٠ والتي اختبرت فيها قدرتها واستعدادها لإغلاق مضيق هرمز عند الضرورة، متحدية بذلك كل القوانين والمصالح الدولية وغير آبهة لكل التهديدات التي أطلقها الغرب ضدها، وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية ونحن ندرك أن المناورات الإيرانية هي سياسية أكثر مما لها أهمية عسكرية، دون أن نتغافل عن مخاطرها على أمن واستقرار منطقة الخليج العربي، ودون أن ننسى أنها ليست الأولى من نوعها بل سبق أن أطلقت طهران على لسان كبار مسئوليها تهديدات عديدة بشأن إغلاق مضيق هرمز ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو إذا كانت إيران بصدد الإقدام على عمل انتحاري، وإذا كانت الولايات المتحدة تهدد وتتوعد دون أن نلمس جدية في ذلك منذ ما يقارب العقد من الزمن، فماذا فعلت دول الخليج العربي من إجراءات وقائية لحماية ثرواتها الطبيعية وللذود عن مصالحها ومنافعها؟ أو بالأحرى ما هي البدائل التي وضعتها دول الخليج العربي في حال إقدام إيران فعلاً على إقفال مضيق هرمز حتى ولو لفترة زمنية قصيرة؟وإذا كانت دول الخليج العربي لا تملك بدائل سريعة فعلى الأقل يجب أن تباشر بإعداد اللازم من خلال:

- الإسراع في تنفيذ مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الرامية إلى تحويل مجلس التعاون إلى اتحاد خليجي، لأن من شأن ذلك توحيد الجهود الدبلوماسية وتعضيد القدرات العسكرية والتكامل اقتصادياً والتضامن من أجل حماية المصالح المشتركة. - دراسة احتمال تحويل مرافئ إمارة الفجيرة إلى مرافئ صالحة للاستخدام من قبل كل دول مجلس التعاون لأنها، برأي العارفين، البديل الأنسب عن مضيق هرمز من حيث أنها تطل على خليج عمان وعلى بحر العرب، وهذا من شأنه أن يخدم الإمارات والسعودية والكويت وقطر.

فالوقت ليس وقت تنديد في وسائل الإعلام وعبر البيانات والمواقف الرسمية بل إنه وقت البدء بالعمل لأن الخطر وإن كان ليس جدياً اليوم إلا أنه قد يصبح كذلك في المستقبل.

إيران والتدخل في الشئون الداخلية للدول:

تكلم أكثر من مسئول إيراني ، بمن فيهم رئيس الانتخابات المزورة أحمدي نجادي ورئيس مجلس الشورى ، ينتقدون عددا من الدول الأوربية لأنها تتدخل في الشئون الداخلية لإيران ، وطالبوها بالكف عن هذا التدخل بوصفه عملا تمنعه المواثيق الدولية ، وهذا كلام حسن ، وأحسن منه أن تلتزم به إيران نفسها فإيران أكثر دولة في العالم بعد الولايات المتحدة تمارس تدخل فظ في شئون الدول الأخرى ، بل إن المدهش أن تقدم إيران هذه المواعظ للولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الذي يجتمع فيه ممثلوها مع ممثلي الاستخبارات الأمريكية وقيادات وزارة الدفاع من أجل التدخل في الشئون الأفغانية وإعادة ترتيب أوضاع الحكم وتقسيم النفوذ ، أو بصريح العبارة من أجل قمع انتفاضة الشعب الأفغاني ضد الاحتلال وضد العصابات التي وسدها الحكم رغما عنه ، ليس هذا فقط ، بل إن إيران ارتكبت من الجرائم والموبقات في حق الشعب العراقي والدولة العراقية ما تشيب له الولدان ، فإيران هي اللاعب الأول الآن في الشئون الداخلية العراقية ، وهي تحكم بشكل مباشر نصف العراق تقريبا من خلال رجالها والميليشيات المرتبطة بها تنظيما وتدريبا وتسليحا وتمويلا ، وإيران هي التي تباهي علنا بدورها المحوري في دعم الغزو الأمريكي للعراق وأنها التي تملك أهم الأوراق فيه الآن وتساوم القوى الغربية على ذلك

من جانب آخر فإيران التي تتدخل بشكل سافر وفج في الشؤون الداخلية اللبنانية لدرجة أن رجالها هناك ، وهم قادة لبنانيون مثل حسن نصر الله ، لا يشعرون بأدنى خجل وهم يذهبون لتقبيل يد مرشد الثورة الإيرانية ويتلقون منه التوجيهات والنصائح ، بل يعتبر نصر الله هذا شرفا له ولحزبه وتستطيع أن تعدد الاختراقات الأمنية والسياسية والإعلامية الإيرانية في البحرين والسعودية واليمن ومصر والمغرب والأردن ، كل هذه الألاعيب والمؤامرات تمارسها السلطات الإيرانية في العالم العربي والإسلامي بصورة يومية دون أن يطرف لها جفن ، أما عندما تقترب نيران التدخل من نظامها السياسي ويقترب الحريق من رأس هرم السلطة ، ويهدد بنيان الدولة الطائفية ، تتذكر أن هناك أعرافا دولية تمنع التدخل في شئون الدول الأخرى وتطالب الآخرين بالالتزام بها ، هذا على الرغم من أن محاولة إلقاء تبعات الحريق الشعبي المتفجر في شوارع طهران على التدخلات الأجنبية أو على أجهزة الإعلام الأجنبية هو عبث لا يستوعبه منطق ولا عقل ، لأن البريطانيين لم يطلبوا من الملالي أن يزوروا الانتخابات ، والأمريكيون لم ينصحوا مرشد الثورة علي خامنئي بأن يورط نفسه كخصم في النزاع على نزاهة الانتخابات فيعلن انحيازه الصريح لأحمدي نجاد ، حتى من قبل أن يتم تشكيل لجنة إعادة الفرز أو التحقيق في وقائع التزوير ، والفرنسيون لم يكونوا السبب في تورط ما يسمى بلجنة صيانة الدستور ، بأن تعلن ثقتها بنزاهة الانتخابات وتؤكد على شفافيتها وترفض الاعتراف بالتزوير،وبالتالي أدت إلى انسحاب المرشحين الإصلاحيين من حضور جلسة التحقيق ، لأنها تصبح بغير معنى ولا قيمة ، ولأنهما شعرا ـ إن شاركا ـ أنهما يمارسان نوعا من التغطية والتبرئة المجانية للمدانين بالتزوير ، مشكلة إيران الحالية أزمة ذاتية الإنتاج ،وورطة حقيقية تسبب فيها أركان النظام نفسه ، ومحاولة إلقاء الاتهامات على الخارج وعلى الآخرين لن يحل المشكلة بل سيزيدها تعقيدا ، ويعمق غوصهم في الوحل ، لأن عليهم إقناع العالم بأن عشرات الملايين من الإيرانيين المؤيدين للإصلاحيين أصبحوا عملاء للخارج ، ويتحركون بأوامر واشنطن ولندن وباريس وربما أضافوا إليهم تل أبيب إمعانا في الدجل السياسي (١).

موقف إيران من القضية الفلسطينية:

تحتل قضية فلسطين موقعاً خاصاً لدى كل من العرب والإيرانيين وقد تجلت هذه الحقيقة في اهتمامهم الكبير بها منذ بروزها قبل أكثر من قرن في مراحلها المتتالية واحدة تلو الأخرى، وفي بلورتهم هدف تحرير فلسطين، هدفاً عظيماً يضعونه نصب أعينهم ويحلمون بتحقيقه ويسعون له ويبدو ارتباط كل من العرب والإيرانيين بقضية فلسطين قوياً تمتد جذوره في أعماق التاريخ من خلال الذاكرة التاريخية، وهو مستقر في الضمير الشعبي وليس أدل على قوة هذا الارتباط وعمق جذوره من أن التحولات التي أحاطت بشعوب الأمتين العربية والإيرانية، وبقضية فلسطين على مدى أكثر من نصف قرن، لم تؤثر في ثبات هدف تحرير فلسطين، وإن أثرت أحياناً في درجة الاهتمام بقضية فلسطين، نقصاناً أو زيادة.

وحين نتأمل في أسباب احتلال قضية فلسطين هذا الموقع الخاص لدى كل من العرب والإيرانيين نقف أمام سببين رئيسيين، يتصل الأول بفلسطين، بينما يتصل الآخر بقضيتها.

فلسطين في الضمير الشعبي لكل عربي وإيراني أرض باركها الله، فيها المسجد الأقصى الذي يقترن بالإسراء والمعراج عند المسلم، وفيها كنيسة القيامة التي يحج إليها النصراني، وفيها الحرم الإبراهيمي ومرابع الأنبياء الذين يؤمن بهم المسلم والنصراني واليهودي وزيارتها من ثم حلم يسعى الواحد إلى تحقيقه وهي في الذاكرة التاريخية للعربي والإيراني تقترن بأحداث منذ أقدم العصور تهز أوتار قلبه حفظتها روايات قصص الأنبياء منذ الطوفان كما تقترن بأحداث منذ ظهور الاسلام هي جزء من تاريخه الحي بما حفل به من انتصارات وهزائم وأمجاد ونكسات وقد احتلت أحداث الغزو الفرنجي لبيت المقدس وما حولها ومقاومته بالجهاد، مكاناً خاصاً في الذاكرة التاريخية تشير إليه سيرة الملك الظاهر الشعبية التي بقي عامة الناس في ديار الإسلام يرهفون السمع لرواتها جيلاً بعد جيل إلى وقت قريب ويبرز في هذه السيرة من بين من يبرز الفداوية الذين تنقلوا بين إيران والوطن العربي وأسهموا بدور متميز في مقارعة الفرنجة المعتدين كما يبرز فيها تبادل العطاء بين فلسطين وأقطار عربية أخرى، وبين إيران وبلاد ما وراء النهر، من خلال قصة الظاهر بيبرس نفسه

وفلسطين في الحياة اليومية لكل عربي وإيراني جزء من دائرته الحضارية التي تصون مصالحه ومعاشه وكم من التجار تنقلوا بين أرجاء هذه الدائرة وهم يسلكون طريق الحرير منذ قديم الزمان وطرق التجارة ، وكم من الرحالة.

برزت قضية فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، بفعل الغزوة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية لفلسطين، بينما كان الوطن العربي وإيران وأقطار أخرى من ديار الإسلام ودائرته الحضارية يواجهون تحدي الغزو الاستعماري الأوروبي في موجته الكبيرة الثانية فإيران كانت قد تعرضت لعدوان روسيا القيصرية في الشمال ولتحرشات بريطانيا في الجنوب. وقد فقدت فارس جورجيا وأرمينيا اريفان ولنكوران بعد حربين في ثلاثة عقود في مطلع القرن التاسع عشر ،وتم القضاء على الخانات الإسلامية وقمع الحضارة المحلية والشعور القومي بالإرهاب كما يقول جمال حمدان في استراتيجية الاستعمار والتحرير وبدأت روسيا تتطلع إلى احتلال المنطقة التي قال فيها بطرس الأكبر من يسيطر على هذه المنطقة يسيطر على العالم وطوقت روسيا إيران من ثلاث جهات واعتبرت السياسة الروسية الاستعمارية كل ما هو جنوب القوقاز مجالاً حيوياً ومنطقة نفوذ، ورأت في إيران قناة السويس الروسية وسعت إلى فتح ممر لها في المنطقة. وكانت إيران أيضاً قد عانت الكثير من التدخل البريطاني في المنطقة الذي قاده منذ عام ١٧٦٣ مقيم سياسي بريطاني عام في ميناء بوشهر كان بمثابة ملك المنطقة المتوج وارتفعت حمى هذا التدخل بعد غزو بونابرت مصر عام ١٧٩٨، واشتدت مع هذا الارتفاع مقاومة فارس للتدخل البريطاني وقد تكرر اتهام المقيمين البريطانيين حكومة إيران بالسعي لإضعاف النفوذ البريطاني في مياه المنطقة وبقية الأقطار الإسلامية، ومن هؤلاء جونز الذي كتب بذلك إلى السفير رولنسون في طهران عام ١٨٦٠، كما أورد مصطفى عقيل في كتابه سياسة إيران في المنطقة ١٨٤٨ – ١٨٩٦.

كان الوطن العربي قد تعرض هو الآخر للغزو الاستعماري الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨، ونجح في صد حملة بونابرت، لكنه لم يلبث أن واجه موجة استعمارية كبيرة مذ عام ١٨٣٠ استهدفت فرنسا فيها الجزائر، واستهدفت بريطانيا فيها عدن وسواحل الجزيرة العربية والمنطقة وما أسرع أن واجه وهو يتابع مقاومته الموجة الاستعمارية الثانية منذ عام ١٨٨١ التي بدأت بغزو فرنسا تونس، ثم احتلال بريطانيا مصر.

لم يكن صعباً على العرب والإيرانيين منذ بروز قضية فلسطين وبدء الغزوة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية لبيت المقدس وما حولها، أن يربطوا بين المخططات الاستعمارية في فلسطين وما خططه الاستعمار لموطن كل واحد منهم في مختلف أنحاء الدائرة الإسلامية وقد أدركت خاصتهم، من خلال إمعان النظر وإعمال الفكر ما أدركته عامتهم بحسها الفطري وبما وعته ذاكرتها التاريخية، أن هذا الكيان الصهيوني الذي تعمل القوى الاستعمارية الأوروبية على تثبيته في فلسطين إنما هو في حقيقته قاعدة استعمارية أوروبية أمامية في قلب العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا كما أدركت الخاصة والعامة معاً ما يعنيه استهداف المقدسات الإسلامية والنصرانية من قصد أوروبا المساس بالإسلام والحضارة الإسلامية وتحطيم معنويات المنتمين إليها وهكذا بدت قضية فلسطين منذ بروزها للعرب والإيرانيين قضية كل واحد منهم، لها بعدها الروحي عند المسلم، فهي قضية إسلامية، وعند النصراني المنتمي إلى الحضارة الإسلامية التي شارك في بنائها، ولها أبعادها الجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية بفعل ما تضمنه الغزو الصهيوني لفلسطين من تخريب وتهديد.

لقد تأكدت هذه الحقيقة وترسخت، من خلال مسار قضية فلسطين على مدى قرن، والمراحل التي مر بها الغزو الصهيوني، متسللة (١٨٨٢ – ١٩٧١)، ومتغلغلة (١٩١٧ – ١٩٤٨) وغازية (١٩٤٨ – ١٩٦٧). ومتوسعة (١٩٦٧ – ١٩٨٢)، وساعية لقيادة المنطقة وكيلاً عن قوى الهيمنة الدولية (١٩٨٢ -) والتسميات الأربع الأولى لجمال حمدان الذي انتهى من دراسته لإقامة إسرائيل في كتابه استراتيجية الاستعمار والتحرير إلى ثماني نتائج يحددها الجغرافي السياسي فإسرائيل كدولة ظاهرة استعمارية صرف، واستعمارها طائفي بحت، وهو عنصري مطلق، وقطعة من الاستعمار الأوروبي عبر البحار، واستعمار استيطاني في الدرجة الأولى، وعلى الرغم من ذلك يجسم الاستعمار المتعدد الأغراض استيطاني استراتيجي اقتصادي، وهو استعمار توسعي أساساً شعاره الصهيوني من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل، وأخيراً هو استعمار بالأصالة والوكالة لحساب الصهيونية العالمية والاستعمار العالمي ويكفي للتدليل على تأكد حقيقة موقع قضية فلسطين الخاص لدى العرب والإيرانيين، أن نستحضر مسارها، ونقف أمام علامات فارقة فيه بالنسبة إلى الوطن العربي وإيران

فمؤتمر الصلح عام ١٩١٩ في أعقاب الحرب الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) الذي ثبت الاستعمار الأوروبي في جل الوطن العربي بعد أن فصل بين أجزائه بحدود سياسية وقسمه إلى مناطق نفوذ بين بريطانيا وفرنسا، وحتى إيطاليا، هو الذي رفض مطالب إيران، وهو الذي مكن انجلترا من فلسطين باسم الانتداب لتعمل على تنفيذ تصريح بلفور الصادر في ٢ / ١١ / ١٩١٧ بإقامة دولة يهودية في فلسطين. وقد واجهت انكلترا هذه إيران بمعاهدة استهدفت وضعها تحت السيطرة البريطانية التامة، كما يقول دونالد لبر في كتابه إيران: ماضيها وحاضرها، ومع أن الشاه والحكومة أظهرا استعدادهما لقبولها، إلا أن التحرك الشعبي قاومها ومنع إجازتها.

من هذه العلامات الفارقة، انعقاد المؤتمر الإسلامي العام في بيت المقدس بين ٧و١٧ / ١٢ / ١٩٣١ فقد جاء انعقاده في وقت كانت شعوب الأمة العربية والشعوب الإيرانية مشغولة بالنضال الداخلى من أجل الاستقلال وطرد المستعمر بعد أن فرضت التجزئة على الوطن العربي وفصل بين أجزاء العالم الإسلامي وبدا واضحاً من أعمال المؤتمر وتداعيات انعقاده والإعلام الذي أحاط به

الذاكرة الموتورة وروح الاستعلاء:

إن التوتر الحالي في العلاقات العربية الإيرانية ليس سياسيا فقط، بل له عمقه الثقافي والعرقي الضارب في القَدم فقد اشتملت ثقافة كل من العرب والفرس على العديد من الصور النمطية السلبية تجاه الطرف الآخر.

فقد عامل الكثير من العرب الفرس باستعلاء ظاهر، وتسمية الفرس عجما في اللغة العربية تشتمل على معاني الازدراء، إذ إن المعنى الاشتقاقي للكلمة يتراوح بين معنى العِيّ ومعنى الحيوانية، فلفظ العجُم معناه الحبسة في اللسان، والعجماء البهيمة وبينما يسمي الفرس أنفسهم بني الأحرار يسميهم العرب موالي، وهو لفظ تستعمل في العربية للأرقَّاء السابقين وقد ازدحمت كتب الأدب والأخبار العربية بالقصص التي تحمل صورا نمطية سلبية عن الفرس ونظرة استعلائية تجاههم نجد ذلك مثلا في كتاب الكامل للمبرد وعيون الأخبار لابن قتيبة وغيرهما ومن طرائف

ذلك أن نافع بن جبير وهو رجل من قريش كان إذا مر على جنازة سأل عنها، فإن قيل قرشي قال واقوماه، وإن قيل عربي قال وابلوتاه، وإن قيل مولى أو أعجمي قال: اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت.

وكان أحد الزهاد من قبيلة بني الهجيم يقول: اللهم اغفر للعرب، وأما العجم فهم عبيدك والأمر إليك وروى الأصمعي أنه سمع أعرابياً يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة؟ فقال الآخر أرى ذلك والله بالأعمال الصالحة، فقال الأعرابي توطأ والله رقابنا قبل ذلك والأصمعي هو نفسه القائل ثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يُعرَفوا رجل شممتَ منه رائحة نبيذ في محفل، أو سمعتَه يتكلم في مصر عربي بالفارسية، أو رأيتَه على ظهر الطريق ينازع في القدَر فانظر كيف وصل الاستعلاء العرقي حد اتهام الشخص بالدناءة لمجرد أنه يتحدث بلغته وفي مقابل هذه الذاكرة الاستعلائية تجاه الفرس التي نجدها لدى بعض العرب حتى اليوم، نجد لدى بعض الفرس ذاكرة ثأرية موتورة تجاه العرب. فالفردوسي مؤلف الشاهنامة التي تعد الملحمة الشعرية الكبرى في الأدب الفارسي يعبر عن احتقار عميق للعرب، ويقول عن الفتح الإسلامي لبلاد فارس لقد بلغ الأمر بالعرب أن ينتقلوا من شرب لبن النوق وأكل الضب إلى الطموح إلى تيجان ملوك الفرس، فتعسا لك أيها الزمن الدوار.

ولا يختلف بعض شعراء الفرس الذين كتبوا بالعربية عن الفردوسي الذي كتب بالفارسية، بل إن التشابه في الصور النمطية وأنماط المجاز المستعمل تشابه مدهش واقرأ للمتوكلي -وهو من شعراء الفرس الذين عاشوا خلال العصر العباسي- قوله مخاطبا العرب:

أنا ابن الأكارم من نسل جمٍّ ** وحائز إرث ملوك العجمْ
وطالب أوتارهم جهرة ** فمن نام عن حقهم لم أنمْ
فعودوا إلى أرضكم بالحجاز ** لأكل الضِّباب ورعْيِ الغنمْ

ومثله قول بشار بن برد:

تُفاخرُ يا ابن راعية وراع ** بني الأحرار حسبك من خسارِ
وكنتَ إذا ظمئتَ إلى عُقار ** شركتَ الكلب في ولغ الإطارِ
وتتّشح الشمال للابسيها ** وترعى الضأن بالبلد القفارِ

ولا تزال بعض الصور النمطية السلبية عن العرب شائعة في الأدب الفارسي الحديث، كما شرحته بإسهاب الباحثة الأميركية جويا بلندل في كتابها صورة العرب في الأدب الفارسي الحديث وفي مقابل ذلك دعايات كثيرة لدى بعض القوميين العرب والإسلاميين السلفيين اليوم تتهم الفرس بالجبن والنفاق والإباحية، وحتى بالمجوسية.

والصورة ليست باللون الأبيض والأسود، بل هي صورة ملونة ومركبة إذ توجد صورة إيجابية جدا للفرس في بعض النصوص العربية، وللعرب في بعض النصوص الفارسية فابن بطوطة مثلا يصف في رحلته سكان مدينة شيراز الإيرانية بأنهم حسان الصور نظيفوا الملابس، كما يقول إن أهل شيراز أهل صلاح ودين وعفاف، خصوصا نساءها، وهن يلبسن الخفاف، ويخرجن ملتحفات متبرقعات فلا يظهر منهن شيء، ولهن الصدقات والإيثار وليس في معمور الأرض أحسن أصواتاً بالقرآن من أهل شيراز وعلى الجانب الآخر نجد بعض أعظم شعراء إيران -مثل عمر الخيام وسعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي- ضالعين بحب العرب مشيدين بذكرهم وفي بداية ومنتصف القرن العشرين كان هناك اهتمام عميق وتبادل ثقافي ثري بين الطرفين، نجده في دراسات وترجمات الأدباء المصريين المبدعين (عبد الوهاب عزام، أحمد رامي، إبراهيم دسوقي شتا... إلخ) لأعمال أقطاب الشعر الفارسي، كما نجده في اهتمام الإسلاميين الإيرانيين بالفكر الإسلامي الصادر بالعربية، ويكفي أن نعرف أن مرشد الجمهورية الإيرانية الحالي علي خامنئي هو مترجم كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب إلى اللغة الفارسية، وأن د. علي نوري زادة -مستشار الرئيس الإيرانى السابق محمد خاتمى- ترجم أعمال أهم الشعراء العرب المعاصرين إلى الفارسية. بيد أن هذا التواصل قتلته القطيعة التي بدأت مع بداية الحرب العراقية الإيرانية، وصعود التيارات التكفيرية، وتعمق التغلغل الأمريكي في المنطقة.

الباب الثالث
إيران والعراق

حرب الخليج الأولى:

مرت الدولتان بفترة حرب ثمان سنوات وما تزال العلاقات متوترة بين الدولتين رغم أن وجود أغلبية شيعية في الدولتين قد يحقق بعض التقارب.

حرب الخليج الأولى أو الحرب العراقية الإيرانية، أطلق عليها من قبل الحكومة العراقية آنذاك اسم قادسية صدام بينما عرفت في إيران باسم الدفاع المقدس،وهي حرب نشبت بين العراق وإيران من سبتمبر ١٩٨٠ حتى أغسطس ١٩٨٨، خلفت الحرب نحو مليون قتيل وخسائر مالية بلغت ٤٠٠ مليار دولار أمريكي، دامت الحرب ثماني سنوات لتكون بذلك أطول نزاع عسكري في القرن العشرين وواحدة من أكثر الصراعات العسكرية دموية، أثرت الحرب على المعادلات السياسية لمنطقة الشرق الأوسط وكان لنتائجها بالغ الأثر في العوامل التي أدت إلى حرب الخليج الثانية والثالثة.

في عام ١٩٧٩ شهدت الأحداث السياسية في كل من العراق وإيران تطورات بارزة حيث أعلن في إبريل عن قيام الجمهورية الإسلامية في إيران ليتولى بعدها الخميني منصب المرشد الأعلى للثورة الإسلامية وهو المنصب الأعلى في النظام السياسي الإيراني في حين أصبح صدام حسين رئيسا للجمهورية العراقية في يوليو ١٩٧٩ خلفا للرئيس أحمد حسن البكر الذي أعلن أنه استقال من منصبه لأسباب صحية، كما أعلن عن اكتشاف مؤامرة في بغداد اتهم بتدبيرها مجموعة من الاعضاء القياديين في حزب البعث الحاكم ومجلس قيادة الثورة العراقية، اعدم على إثر ذلك مجموعة من أعضاء المجلس وقيادات حزب البعث.

في سنة ١٩٦٩ ألغى شاه إيران محمد رضا بهلوي من جانب واحد اتفاقية الحدود المبرمة بين إيران والعراق سنة ١٩٣٧ وطالب بأن يكون خط منتصف النهر هو الحد ما بين البلدين، وفي عام ١٩٧١ احتلت البحرية الإيرانية الجزر الإماراتية طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى وقطعت العراق علاقاتها بإيران في ديسمبر ١٩٧١، وفي ١٩٧٢ بدأ الصدام العسكري بين إيران والعراق وازدادت الاشتباكات على الحدود وزاد نشاط الحركات الكردية المسلحة في الشمال، بعد وساطات عربية وقعت العراق وإيران اتفاق الجزائر سنة ١٩٧٥

واعتبر على أساسه منتصف النهر في شط العرب هو خط الحدود بين إيران والعراق، تضمن الاتفاق كذلك وقف دعم إيران للحركات الكردية المسلحة في شمال العراق وبعد قيام الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩ تأزمت العلاقات السياسية بين العراق وإيران. حيث تبادل البلدان سحب السفراء في مارس ١٩٨٠ وخفض مستوى التمثيل الدبلوماسي وفي ٤ سبتمبر ١٩٨٠ اتهمت العراق الإيرانيين بقصف البلدات الحدودية العراقية واعتبر العراق ذلك بداية للحرب فقام الرئيس العراقي صدام حسين بإلغاء اتفاقية عام ١٩٧٥ مع إيران في ١٧ سبتمبر ١٩٨٠ واعتبار مياه شط العرب كاملة جزءاً من المياه الإقليمية العراقية، وفي ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠ هاجم العراق أهدافا في العمق الإيراني، وردت إيران بقصف أهداف عسكرية واقتصادية عراقية وبعد اشتباكات حدودية متقطعة في مايو- أغسطس ١٩٨٠، اشتدت حدة الاشتباكات الحدودية في شهر سبتمبر، ففي ١٠ سبتمبر أعلن في العراق عن تحرير عدة قرى حدودية من الجيش الإيراني، وفي ١٧ سبتمبر أعلن الرئيس العراقي عن إلغاء اتفاقية الجزائر ١٩٧٥ وسيادة العراق على كامل أراضية، لتعبر بعدها الوحدات والتشكيلات البرية العراقية في ٢٢ سبتمبر الحدود الدولية المشتركة مع إيران، لتصبح تلك الحدود مسرحا لأطول حرب يشهدها القرن العشرين ودولياً أثارت الأنباء حول تصاعد حدة الاشتباكات بين العراق وإيران والقتال الدائر حول شط العرب مخاوف من تأثر إمدادات النفط العالمية لاسيما كون العراق وإيران من أكبر مصدري النفط في العالم كما أثارت مخاوف من امتداد نطاق الحرب في الخليج العربي أحد أكثر مناطق العالم ثراءاً بالنفط.

وفي بداية أكتوبر عرض مجلس الأمن اقتراحاً بوقف إطلاق النار رفض من قبل إيران كما عرض العراق وقفا لإطلاق النار في ٤ أكتوبر والجلوس على مائدة المفاوضات وفي ٧ نوفمبر نفذ الجيش الإيراني عملية إبرار على ميناء البكر النفطي بجنوب البصرة، لكن سرعان ما تمكنت القوات العراقية من استرجاع الميناء في اقل من ٢٤ ساعة، كما أعلن الرئيس العراقي في ٧ نوفمبر عن وقف تقدم قواته وان العراق سيحتفظ بالأراضي الإيرانية المستولى عليها وان الجيش سينتهج استراتيجية دفاعية، وبحلول ديسمبر كانت القوات العراق قد استكلمت احتلال منطقة الشوش واستمرت الحرب فى سجالها ما ين تقدم القوات العراقية وتراجعها وتفوق القوات الإيرانية واندحارها وما بين رفض هدنة ووساطة عربية أو دولية إلى أن جاء عام ١٩٨٨.

وبعد فشل القوات الإيرانية في محاولة التقدم من الفاو جنوباً إلى بغداد شمالا قرر القادة الإيرانيون نقل العمليات القتال الرئيسية إلى الشمال عند محافظة السليمانية العراقية، فنقلوا قطعهم من الجنوب إلى الشمال وتركز القتال شرق مدينة السليمانية فأدرك القادة العراقيين الضعف الإيراني في الجنوب فتم التخطيط لعملية عسكرية يتم فيها تحرير الفاو في ١٧ إبريل وهو اليوم الذي يصادف أول أيام شهر رمضان وقد أطلقت القيادة العراقية على العملية اسم رمضانٌ مباركٌ وباشرت القطاعات العراقية حشدها بالقرب من الفاو لعزل القوة الإيرانية في الفاو وضمان عدم وصول الدعم لها واستخدم العراق غاز الأعصاب ضد الإيرانيين لتشتيت جيش إيران وانهارت القوة الإيرانية أسرع مما كان في حساب القادة العراقيين حيث تحررت الفاو بعد ٣٥ ساعة قتال واستسلم الجنود الإيرانيون وكانت خسائرهم البشرية كبيرة وغنم العراق آلاف الأطنان من المعدات والأسلحة والتجهيزات وكانت خسائر العراقيين بسيطة وتابع العراقيون هجماتهم، في القطاع الجنوبي وتمكنوا من إلحاق هزيمة جديدة بالقوات الإيرانية شرق البصرة، وذلك باستعادتهم مدينة شلامجة، وخسر الإيرانيون، في عشر ساعات قتال، في يوم واحد، ٥٠ ألف مقاتل إضافة إلى عدد كبير من معدات القتال الرئيسية ثم قام العراق بتنفيذ هجوم اخر على جزر مجنون وعلى أثرها تمكن من استعادة الجزر وتحريرها .

وقف إطلاق النار:

وافق البلدان على وقف إطلاق النار ٢٠ أغسطس لتبدأ بعدها المفاوضات المباشرة بين العراق وإيران في جنيف ٢٥ أغسطس - ٧ سبتمبر ١٩٨٨ وكان على المتفاوضين بحث قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ والذي يتضمن ٥ نقاط هي:

- وقف إطلاق النار
- الانسحاب إلى الحدود الدولية
- تبادل الأسرى
- عقد مفاوضات السلام
- إعمار البلدين بمساعدة دولية

فشلت الجولة الأولى وتوقفت عند المطلب الأولى وقف إطلاق النار بسبب الاختلاف على تطبيقه بحرا حيث أصرت إيران على تفتيش السفن العابرة لمضيق هرمز وهو ما رفضه العراق، الجولة الثانية انعقدت في نيويورك ١ - ٥ أكتوبر ١٩٨٨ على هامش انعقاد الدورة الثالثة والأربعين للجمعية العمومية للأمم المتحدة حاول خلالها الأمين العام للأمم المتحدة التقريب بين وجهات النظر للطرفين في ٢٠ أكتوبر قدم العراق طلبا لتبادل الأسرى إلا أن إيران رفضته فبادر العراق بالإفراج عن الأسرى الإيرانيين المرضى لديه ٤٦٥وكانوا أسيراً، مما دفع إيران لاتخاذ إجراء مماثل وفي ٣١ أكتوبر بدأت جولة جديدة في جنيف بدعوة من الأمين العام للأمم المتحدة إلا أنها لم تكن أفضل حالا من الجولات التي سبقتها مما أجبر الأمانة العامة إلى التنقل بين بغداد وطهران لتقريب وجهات النظر بين البلدين.

مساعدة المحتل والسيطرة وزرع الطائفية :

لقد تم غرس فكرة الطائفية وما تم من تصفيات لأبناء الشعب العراقي بعد الاحتلال والكثير من المفكرين ألقوا تبعة ذلك على سلطات الاحتلال، ونحن نقول أنه من المنطقي أن تتعامل قوات الغزو مع من يساندها، ونظرا لكون حكام طهران ساعدوا الولايات المتحدة الأمريكية على احتلال العراق وباعتراف رفسنجاني : لولا إيران لما استطاعت أمريكا غزو أفغانستان والعراق .(١).

كما أن الرئيس الإيراني أحمدي نجاد عبر عن فرحه عندما قال قد وضع الله ثمار احتلال البلدين المجاورين لإيران وهما العراق وأفغانستان في سلّة إيران وهكذا فقد حررت أمريكا إيران من فكي كمّاشة من حيث تدري ولا تدري لتضيف النقاط إلى صالح الجانب الإيراني (٢) ولا ننسى ما أعلنه محمد علي أبطحي، في محاضرة ألقاها في ختام أعمال مؤتمر الخليج وتحديات المستقبل الذي عقد بإمارة أبو ظبي مساء الثلاثاء ٢٠٠٤/١/١٣، عندما قال إن بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربهم ضد أفغانستان والعراق ولولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة لذا من الطبيعي أن يقوم المحتل الأمريكي بتقريب الأحزاب الطائفية وكتائبها التي دخلت العراق من إيران بعد الاحتلال

ومن هذه الأحزاب المجلس الأعلى وحزب الدعوة، هذا دون ذكر الأحزاب الصغيرة الأخرى كحزب الله وثأر الله وغيره هذا دون إغفال الحرس الثوري الإيراني. هذه الكتائب (المليشيات) التي شكلت فرق الموت التي قامت بقتل وتهجير الملايين من العراقيين العرب الشرفاء لسبب بسيط لكونهم رفضوا الخضوع لقوات الاحتلال وللهيمنة الصفوية ولولا موقف النظام الإيراني، المتعاون مع الاحتلال، لما استطاعت سلطات الاحتلال غرس نظام المحاصصة سيء الصيت.

ونظام الملالي في طهران هو الذي يسيطر على كافة أجهزة السلطة العميلة في وطننا الحبيب أي بكلمة موجزة الإيرانيون تغلغلوا في كل مكان وفي كافة المرافق الحيوية في العراق كما ذكر العميل على الدباغ عندما كان نائبا ومستشارا للسيستاني قبل أن يصبح الناطق الرسمي لحكومة المنطقة الخضراء ولهذا الغرض فإن ما لا يقل عن ثلاثة ملايين إيراني تم منحهم الجنسية العراقية ليفرضوا هيمنة إيران على المرافق الحيوية العراقية.

تقسيم العراق:

ومن خلال الأحزاب المرتبطة بالنظام الايرانى، وبالتنسيق مع سلطات الاحتلال والكيان الصهيوني، يعمل جاهدا على تفتيت العراق.

عندما شعرت إيران بأن المالكي أخذ يدافع عن وحدة العراق – وهذا الدفاع طبعا لا علاقة له بوطنيته ولكن الغرض منه كسب أصوات الناخبين السذج والذين انطلت عليهم هذه اللعبة وخشية من حدوث شرخ في البيت الشيعي الذي دعا له أحمد الجلبي، والذي أطلق عليه فيما بعد الائتلاف الشيعي، قامت بإرسال لارجاني، الذي وصل العراق يوم ٢٠٠٩/٣/٢٤، ليطلب من السيستاني الإيراني – الذي رفض الجنسية العراقية – بالقيام بالوساطة بين حزب الدعوة وحزب المجلس الأعلى للاتفاق على تقاسم إدارة المحافظات في جنوب العراق (لندن ـ نضال الليثي وبغداد ـ كريم زاير لاريجاني في النجف يطلب دعم السيستاني للوساطة بين المالكي والحكيم حول تقاسم إدارات محافظات جنوب العراق ونتيجة هذه الوساطة وافق المالكي على خوض الانتخابات النيابية مع المجلس الأعلى على أن يتم تقاسم المقاعد بالتساوي.

كما أن قادة إيران يلحون على أن يبقى هذا الائتلاف موحدا، وبالتنسيق مع الحزبين الكرديين ، ليتحكموا فى العراق من خلال حصول هذا الائتلاف على غالبية المقاعد في مجلس النواب في سبيل تطبيق الهدف الأساس للصهيونية العالمية بشرذمة العراق إلى عدة أقاليم : إقليم الشمال وإقليم الجنوب وإقليم الوسط وربما إقليم كركوك... الخ.

ولذا كانت أحد أهداف زيارة لارجاني – رئيس مجلس الشورى الإيراني – هو، إقناع قادة الائتلاف العراقي الموحد الذي انفرط عقده، بخوض انتخابات البرلمان العراقي القادم ضمن قائمة موحدة بعد التفكك الذي تعرّض له الائتلاف بانسحاب حزب الفضيلة والتيار الصدري، وبعد الفجوة التي اتسعت بين المالكي والحكيم الناجمة عن طبيعة البرنامج السياسي لكل منهما كما أن صحيفة البينة الجديدة ذكرت أن القيادة الإيرانية تبذل جهودا كبيرة لإعادة بناء الائتلاف العراقي الموحد لأنه لا يجوز إحداث شروخ أو وجود فرقة في جسد الائتلاف العراقي الموحد

السيطرة على حقول النفط وشط العرب :

قام النظام الصفوي بالسيطرة على العديد من حقول النفط في جنوب العراق وكذلك على شط العرب وجزيرة مجنون وبالأخص بعد تغيير مجرى الشط المذكور ورفض حكام طهران المطلق للموافقة على ان شط العرب ليعود إلى مجراه الأصلي. كما أن إيران قامت بسد جميع المنافذ المائية التي كانت تتجه للعراق ويجب أن لا ننسى الأزمة الكبيرة التي يعانيها إخواننا أبناء الأهوار من جراء هذا العمل الإجرامي المخالف لكافة القوانين والأعراف الدولية.

المناهج التعليمية وسيطرة إيران على جامعة البكر:

وفى المناهج التعليمية في العراق وبالأخص فيما يتعلق بالتاريخ والتربية الوطنية قامت ايران بادراج أسماء القادة الصفويين في كافة المراحل الدراسية مع حذف كل ما يتعلق بالقادة العرب، وبصورة خاصة، ما له علاقة بتحرير العراق من الحكم الفارسي المجوسي.

ليس هذا فقط ولكن طباعة كافة الكتب المدرسية تتم، وبالاتفاق مع ما يطلق عليها السلطات العراقية، في المطابع الإيرانية والغرض من هذا الإجراء هو : الحصول على موافقة النظام الصفوي على محتوى هذه المناهج من جهة، ولتحقق إيران أرباح كبيرة من هذا العمل الذي حرمت منه المطابع العراقية من جهة أخرى.

وأخيرا وزير تربية حكومة العمالة في العراق قرر حذف تسمية الخليج العربي من المناهج الدراسية لكافة المراحل واستبدالها بتسمية الخليج الفارسي.
أما فيما يتعلق بجامعة البكر: هناك معلومات عن أن هناك عددا من الباحثين والإداريين من إيران قاموا بالسيطره على هذه الجامعة التي دمجت معها الكلية الهندسية العسكرية، وأطلق عليها اسم جامعة الإمام جعفر الصادق وأصبح هذا الصرح وكرا يدار من قبل المخابرات الإيرانية ولا توجد علاقة لهذه الجامعة بوزارة التعليم العراقية حيث أصبحت متخصصة فى الدراسات العليا في المجالات العلمية وهي (الكيمياء – الأحياء – الفيزياء – الهندسة) وبالذات هندسة البكتريا وهذه الجامعة وأساتذتها مرتبطين مباشرة بالمجلس الأعلى وتدار بصورة مباشرة من قبل عمار الحكيم وقد ساهمت الحكومة العميلة في تصفية إدارة جامعة جعفر الصادق حيث تخلصت من الكوادر القديمة بالطرد والاجتثاث أو التقاعد فيما يتعلق بجميع أساتذة جامعة البكر ومن ضباط الكلية الهندسية العسكرية والذين لا يتفقون معها في الولاء والانتماء وأبقت على بعض من تعاون معها وخصوصا من أساتذة الكليات العلمية وبعض أساتذة الجامعة المستنصرية لما لهذه الجامعة من دور في تخريب العملية التعليمية في العراق.

لقد حددت جامعة جعفر الصادق قبول الطلبة للدراسات العليا ممن يرشحهم المجلس الأعلى حصرا وأغلب الذين قبلوا فيها هم من التبعية الإيرانية ومن خريجي الجامعات الإيرانية أو السورية. وقد جاء الدور الخطير لهذه الجامعة بتكليفها بإجراء البحوث والدراسات التي تخدم برامج التسليح الإيراني.

وكل هذه الإجراءات تتم بعيدة عن أنظار أو علم وزارة التعليم العالي الحالية وتشير معلومات مؤكدة أن بحوث السموم والتقنيات الجرثومية متواصلة في مختبرات بعض الجامعات العراقية الأخرى تحت سيطرة وإشراف كوادر إيرانية متخصصة جيء بهم من مراكز البحوث العسكرية الإيرانية

والبعض الآخر من العراقيين الذين هم عملاء لإيران وكذلك وجود الكثير من الخبراء الإيرانيين في وزارة النفط العراقية والذين دائما يسعون بتقديم الاستشارات والنصائح إلى العميل الإيراني وزير النفط العراقي ببيعة إلى العراق بأسعار خيالية.

بعد ما سبق، ماذا نأمل من مستقبل العلاقة مع النظام الإيراني الصفوي وهو يبتلع العراق؟ هل ننتظر منه أن يتوقف عن أطماعه؟
نحن متأكدون أن لا أحد يستطيع إيقافه سوى مقاومتنا الباسلة،التي أجبرت أعتى قوات العالم على الهروب مستنجدة بملالي طهران والأحزاب التابعة لها لتوقيع اتفاقية مشينة بغرض إتاحة الفرصة لها للهروب.

إلغاء عروبة العراق وفرض المذهب الشيعى:

إن النظام الذي أرسى دعائمه الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش في العراق منذ احتلاله في أبريل ٢٠٠٣ قد قام على نظرية التعاون السياسي الأمريكي الإيراني المشترك، وبموجبه تعاونت واشنطن وطهران للانقضاض على النظام السابق وتقويضه كمرحلة أولى، وصولا إلى المرحلة الثانية التي تمثلت في العمل على تهميش عروبة العراق وفصمه عن حاضنته العربية وفرض المذهب الشيعي على البلاد بدلا من الهوية الوطنية العراقية.

وضمن صفحات المرحلة الثانية أيضا جاء الإيعاز الإيراني لأتباعها وأحزابها بالتعاون مع الاحتلال الأمريكي لعزل السنة العرب والتنكيل بهم والسعي إلى تصفية رموزهم وشخصياتهم حتى لم يسلم من شرورهم أولئك الذين انخرطوا في العملية السياسية وأبرزهم طارق الهاشمي المتهم بالإرهاب مع أنه أمضى أكثر من خمس سنوات ومازال نائبا لرئيس الجمهورية، ولعل كثيرا من الناس لا يعرف أن الدافع الرئيسي لحرب المالكي على الهاشمي أن الأخير بغدادي وهاشمي حقيقي وليس من أولئك الذين نزحوا إلى بغداد ولوثوا بيئتها النظيفة وشوهوا صورتها الجميلة ولقد أثبتت أحداث السنوات التسع المريرة أن أهل بغداد الأصليين الذين تحملوا جانبا كبيرا من مسئولية بناء الدولة العراقية الحديثة - صاروا هدفا مشتركا يترصده الأمريكان وأذنابهم الشيعة العجم.

وتعرضت مناطقهم وأحياؤهم وأشغالهم في الكرخ والرصافة لهجمات فرق الموت الطائفية والمليشيات الطائفية ووحدات فيلق قدس الإيرانية وقوات المارينز الأمريكية، والتهمة جاهزة وتتوزع بين إرهابي وقاعدي وبعثي وسلفي، وجاء المالكي وأضاف إليها تهمة سني تكفيري وناصبي مقلدا أسياده الصفويين.

ولاحظوا أسماء أفراد حاشيته، فمدير مكتبه المدعو علي موسوي إيراني ابن إيراني، ووزير التعليم العالي في حكومته علي يزدي الذي يلقب نفسه حاليا بالأديب تارة والحسيني تارة أخرى، ومحافظ كربلاء أملي هري الذي عرّب اسمه الآن وأصبح آمال الدين الهر، وبمناسبة ذكر الأخير فانه وقف متباهيا عند صدور قرار تعيينه محافظا لكربلاء وصرح بلا حياء أو خجل: ها أنا عائد إلى العراق واستلم ارفع المناصب، وشتم النظام السابق الذي أعاده مع أسرته إلى بلده إيران في مطلع الثمانينيات ابان تسفير العائلات الإيرانية التي احتفظت بجنسياتها الأصلية.

وقد أشارت تقارير كثيرة بعضها نشر وأعلن خلال السنوات القليلة الماضية تفيد أن استراتيجية المحافظين الجدد - وهم مجموعة من السياسيين المتصهينين الأمريكيين - اعتمدت التحالف مع شيعة إيران في المنطقة العربية بزعم كسر شوكة السنة العرب والعمل على تصغيرهم وتقليص نفوذهم بعد ان نجحوا في بناء دولهم وترصين سيادتها وتقوية اقتصاداتها، واختاروا العراق كمقدمة لتنفيذ مخططهم الشيطاني باعتباره بلدا ناهضا يمثل الجناح الشرقي للأمة العربية وقوة التوازن الاستراتيجي في مواجهة إيران الخميني ومن بعده الخامنئي، ولم يعد سرا أن واحدا من الأهداف المشتركة التي اتفق عليها الأمريكيون والإيرانيون عقب إسقاط النظام السابق هو السعي الى دمج شيعة واشنطن مع شيعة طهران وتشكيل سلطة تكون نسبة الشيعة فيها هي الأعلى، وهو ما حصل بالفعل عند تأليف أول مجلس انتقالي للحكم حيث احتله الشيعة بـ (١٣ عضوا) من أصل٢٥.

ثم بدأت صفحات الأهداف الأخرى تتضح شيئا فشيئا وجاء في مقدمتها العمل المشترك على تدمير بغداد مدينة وعاصمة وشعبا وحضارة والقضاء على مكانتها الرفيعة بين عواصم الدنيا حيث ينظر إليها العرب والمسلمون باعتبارها سيدة المدن والحاضنة التاريخية والحضارية للسنة العرب في العراق

خصوصا أن أبو جعفر المنصور هو مؤسسها وبانيها حيث ينظر إليه الشيعة العجم وإلى أبنائه وأحفاده الخلفاء قادة الإمبراطورية العربية الإسلامية على امتداد خمسة قرون بكراهية شديدة، لذلك عمد الحاكمون الشيعة من المالكي إلى أصغر مسئول في العاصمة بغداد إلى انتهاج سلسلة من الإجراءات المتعمدة لتغيير وجه بغداد العربي وقطع أوصالها وتشويه أحيائها وشوارعها بالحواجز والتضييق على سكانها الأصليين ومصادرة بيوتهم وممتلكاتهم وحرمانهم من ابسط حقوقهم في العمل والوظائف وتهجيرهم وإحلال وافدين إليها وإنشاء مستوطنات شيعية طائفية فيها.

وللتدليل على المؤامرة الشيعية لتدمير بغداد فان التقارير والإحصائيات الحكومية تعترف ضمنيا بأنه طوال السنوات التسع الماضية من حكم الشيعة العجم لم تشهد بغداد بناء جسر أو فتح شارع أو إنشاء جامعة أو إقامة مستشفى حتى وصل الأمر إلى حرمان أي بغدادي أصيل من تبوء أي وظيفة لها علاقة بتطوير بغداد ورفع مستواها، فمحافظها الحالي صلاح عبد الرزاق عضو في المكتب السياسي لحزب الدعوة ويقال أنه من كربلاء وأمين العاصمة صابر العيسوي قيادي في المجلس الأعلى ومن العمرة ورئيس مجلسها البلدي او المحلي كامل الزيدي شيعي مهاجر من الناصرية، بينما قادت أحقاد الشيعة العجم لبغداد خلال السنوات التسع المنصرفة إلى عمليات منظمة لتخريب هذه المدينة العباسية والحاضرة العربية والإسلامية والإجهاز على أبنائها وتراثها وجمالها ومنزلتها ومنجزاتها ونهوضها.

وهذه العمليات لها خلفيات ثأرية تاريخية تعود إلى أيام المحتل المغولي هولاكو الذي هرع إليه فقهاء الشيعة وأعيانهم وهو يحاصر بغداد وقدموا له الطاعة والولاء له وحرضوه على احتلالها وتدميرها، فهذا المدعو حسن بن يوسف المطهري الذي يلقب نفسه بالحلي وهو أحد مجتهدي الشيعة ينقل في كتابه (كشف اليقين) عن أبيه الفقيه الشيعي الذي رأس وفدا شيعيا وذهب إلى هولاكو المعسكر خارج بغداد قبل احتلالها ورحب بمقدمه وتعهد بدعم الشيعة له،ولما دهش هولاكو وسأل رئيس وأعضاء الوفد الشيعي كيف قدمتم إلي قبل أن تعلموا ما ينتهي أمري وأمر صاحبكم الخليفة؟ وكيف تأمنون إذا صالحني ورحلت عنه؟ أجابه أبو حسن المطهري: أقدمنا على ذلك

لأننا روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب انه قال في خطبة له:الزوراء وما أدراك ما الزوراء؟ أرض ذات أثل، يشيد فيها البنيان ويكثر فيها السكان، ويكون فيها مخادم وخازن، يتخذها ولد العباس موطنا، ولزخرفهم مسكنا، تكون لهم دار لهو ولعب، ويكون فيها الجور الجائر والخوف المخيف والأئمة الفجرة والأمراء الفسقة والوزراء الخونة، يخدمهم أبناء فارس والروم لا يأمرون بمعروف إذا عرفوه ولا يتناهون عن منكر إذا أنكروه، استكفي الرجال منهم بالرجال والنساء بالنساء فعند ذلك الغم العميم والبكاء الطويل والويل والعويل لأهل الزوراء من سطوة الترك وهم قوم صغار الحدق وجوههم كالمجان المطوقة، لباسهم الحديد، جرد مرد يقدمهم ملك يأتي من حيث بدا ملكهم، جهوري الصوت قوي الصولة عالي الهمة، لا يمر بمدينة إلا فتحها ولا ترفع عليه راية إلا نكسها، الويل الويل لمن ناوأه، فلا يزال كذلك حتى يظفر.
ويستطرد الفقيه الشيعي مطهري ويخاطب هولاكو قائلا: فلما وُصف لنا ذلك ووجدنا الصفات فيكم رجوناك فقصدناك، وهنا يعلق العلامة الشيعي في كتابه أعلاه الذي يعد إلى يومنا الراهن واحدا من مراجع الشيعة، إن هولاكو بعد أن سمع كلامهم طيب خاطرهم وكتب لهم فرمانا بالأمان.

سرقة ممتلكات العراق:

في مسلسل خطير بدأ منذ الأيام الأولى للاحتلال الأمريكي، لإفراغ العراق من ممتلكاته وخيراته لصالح دولة مجاورة، فقد تأكد لدى هيئة علماء المسلمين وصول تسع شاحنات محملة بـ ٢٧٠طن من محركات بواخر عملاقة، ومعدات تصنيع عسكرية بالغة الأهمية يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٩/٩/١٥ على نقطة الحدود العراقية الإيرانية المنذرية قادمة من العراق باتجاه إيران، تحت أوراق خروج عنوانها حديد سكراب ناتج عن غوارق بحرية منتشلة .

وقد وصلت الشحنة الحدود المذكورة يوم الثلاثاء الساعة العاشرة صباحا، ورفض مكتب مخابرات المنذرية ومكتب الشئون تمرير البضاعة، لان هذا ممنوع قانونا، ومضر بمصلحة البلاد، ومكثت البضاعة أربع ساعات، حتى جاء أمر من رئيس الوزراء الحالي بالسماح بعبورها الحدود باتجاه إيران، وقد تولى بحماس مدير المنفذ وهو برتبة عميد تنفيذ الأمر.

وقد أكد الراصدون أن هذه الشحنة جزء من شحنات ستصل تباعا بعد عيد الفطر بالطريقة نفسها، تبلغ زنتها الإجمالية ٨٠٠ طن، وان الكمية جميعا بيعت بواقع ٥٠ دولار للطن الواحد.

إن هيئة علماء المسلمين إذ تدين هذه السرقة الخطيرة التي يؤكد كشفها إن حكومة اليوم ليست عراقية، وإنها تعمل لصالح دول أخرى، فإنها تطلب من كل القوى الخيرة في العراق أن تسعى لمنع إتمام هذه الصفقة الخبيثة، وإيقاف ما تبقى من نقل الشحنات وتؤكد الهيئة إن هذا الوضع ليس جديدا، وقد نقل كثير من ممتلكات العراقيين العامة إلى هذه الدولة الجارة، والتي تقدر بمليارات الدولارات، وذلك من خلال منظمات معروفة، وأشخاص دخلوا العراق بعد الاحتلال، وجند الجميع أنفسهم لتخريب البلاد، وخدمة الآخرين.

إيران تغتال علماء العراق:

إن فيلق القدس يقوم بتدريب عناصر في قواعد خاصة داخل إيران كما أن عناصر من فيلق القدس ارتكبوا أعمالاً مشتركة منها الاشتراك في خطف الرهائن الغربيين من بغداد ونقلهم إلى طهران.

إن قتل علماء الدين السنة العراقيين أصبح ظاهرة يومية حيث لا يمر يوم إلا وهناك أكثر من إمام وخطيب جامع لأهل السنة يقتل أو يخطف أو يعثر على رأسه مقطوعاً, وأغلب هذه الجرائم ترتكب أمام مرأى ومشهد من القوات الحكومية والاحتلال, وتتم على أيدي عصابات ومليشيات معروفة دون أن يجرؤ أحد على مساءلتها أو محاسبتها وقال ضابط في وزارة الدفاع العراقية برتبة عقيد في تصريح صحافي, ان ميليشيات تعمل لحساب أجندات خارجية بإذكاء الحرب الطائفية في العراق مجددا, بالوقوف خلف تلك العمليات الخطيرة وأوضح العقيد أن المسلحين يستهدفون علماء الدين السنة الأبرز الذين يحظون بشعبية وقبول من قبل العراقيين السنة, حيث تم اغتيال الشيخ عبد الجليل الفهداوي نائب رئيس جماعة علماء العراق, والشيخ غازي فيصل إمام جامع الأعظمية في بغداد, والشيخ عاصي الحمداني إمام وخطيب جامع العبد في الموصل, والشيخ عبد المجيد حسن الجبوري إمام وخطيب جامع الخشاب,

والشيخ كمال الجبوري إمام وخطيب جامع الحاج حسين الجبوري بمنطقة هور رجب ببغداد, والشيخ بشير الجحيشي إمام وخطيب جامع الخواجة في منطقة الراشدية شمال بغداد جميعا بنفس الطريقة, حيث اغتيلوا بواسطة مسدسات كاتمة للصوت, ومن قبل مسلحين يستقلون سيارات حديثة ويتحركون بحرية. وأضاف كان اغتيال سبعة علماء آخرين بواسطة عبوات لاصقة في غضون شهر واحد بطريقة واحدة, وهي عبوات لاصقة تزرع بسياراتهم, وجميع تلك العبوات مصنعة في دولة مجاورة للعراق ويقصد بها إيران!. ولفت العقيد إلى أن ست محاولات أخرى باءت بالفشل في محاولة اغتيال علماء دين سنة أصيبوا خلالها بجروح خطيرة كان آخرهم الشيخ حماد أحمد غرب العاصمة بغداد لدى خروجه من منزله, ونقل على أثرها للعلاج من جهته قال الشيخ عبد الكريم فتاح أحد علماء الدين السنة في بغداد: إن موجة الاستهداف الجديدة لعلماء وخطباء سنة في بغداد منظمة, وحكومة المالكي تغض الطرف عنها ولا تحرك ساكنا. وأضاف تم منع علماء الدين السنة من حمل أسلحة أو تخصيص أفرد لحمايتهم وهم عرضة للقتل في أي وقت بالوقت الحاضر, دونما أي استنكار أو تحقيق من قبل حكومة المالكي. وكشف فتاح عن وجود هجرة لعدد كبير من علماء الدين السنة من منازلهم إلى جهات أخرى غير معلومة, بسبب تصاعد عمليات القتل التي تستهدفهم, مشيرا إلى أن أكثر من ٣٠ خطيبا هَجَرَ منبره خوفا من القتل.

حملات الاغتيال التي يتعرض لها علماء الدين السنة في العراق, تنفذ على أيدي عناصر من قبل إيران لأهداف معلومة, ومن المؤسف أن يكون موقف حكومة المالكي يتسم باللامبالاة تجاه اغتيال علماء السنة, والحقيقة الثابتة أن إيران في مسعاها لنشر الفتنة في العراق لا يهمها من تستخدمه سواء كان من فيلق بدر أم جيش المهدي أم فيلق القدس أم حتى مرتزقة صهاينة, طالما توفر إيران الدعم والإسناد والتسليح والمأوى والعلاج لهم.

الباب الرابع
العرب والنووى الإيرانى

الملف النووى والعرب:

تختلف المواقف العربية حول أفضل السبل في التعامل مع الملف النووي الإيراني بين من يؤيد التوجه الأمريكي ظاهرًا كان أم باطنًا، وبين من يميل إلى الاكتفاء بالسكوت والمراقبة، وبين من يرى حق الإيرانيين في تطوير برنامجهم، وفي العموم فقد وقف الوضع العربي الرسمي عند حدود موقف لا يتعداه يقول بضرورة جعل (منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل)؟ وربما بدا الوضع في نظر البعض مطمئنًا إلى أن نتائج المطاردة الأمريكية ستفضي إلى شطب البرنامج النووي الإيراني ولو بالقوة العسكرية، مما يعني أن الموقف العربي لن يكون مؤثرا في النزاع والنتيجة هي انتفاء الحاجة إلى تبني موقف عدائي منه مادام الموقف الأمريكي والدولي على هذه الحال ويرجع اختلاف المواقف العربية إلى التباين في تصور مدى الأخطار التي من الممكن أن يحققها البرنامج النووي الإيراني وتأثيره على المحيط العربي ككل والخليج بالأخص.

أ- تهديد الاستقرار الإقليمي في منطقة الخليج :

مما لاشك فيه أن امتلاك إيران لأسلحة نووية من شأنه التأثير على استقرار منطقة الخليج من زاويتين الأولى :تكريس الخلل القائم في موازين القوى، حيث أن حقائق الجغرافيا السياسية تشير إلى أن القوة الإيرانية الحالية إذا ما أرادت أن تتجه فإن مسارها لن يكون الشمال أو الشرق، ففي الشرق هناك القوى النووية الآسيوية الكبرى الهند وباكستان والصين، وفي الشمال هناك روسيا، وبالتالي فإن إمكانية التمدد المتاحة لإيران هي في الغرب ويضاف إلى هذا التباين معاناة الجيوش الخليجية من نقص الأفراد المستعدين للخدمة في القوات المسلحة أو الالتزام بالحياة العسكرية، كما أنهم يفتقرون بصفة عامة للخبرة القتالية، في الوقت الذي أعلنت فيه إيران عن إجرائها لتجربة صاروخية متطورة (شهاب ٣) في يوليو ٢٠٠٥، فضلا عن إعلان وزارة الدفاع الإيرانية عن اعتزامها تطوير نوعين آخرين من الصواريخ ذات التقنية العالية وهما شهاب ٤ (٣٠٠٠ كم) وشهاب ٥ (٥٠٠٠كم).

أما الثانية فهي إمكانية نشوب صراع عسكري بين إيران والأطراف المعنية بالقضية النووية تنعكس آثاره على المنطقة، خاصة أن هذا البديل ليس مستبعدا من استراتيجيات الولايات المتحدة تجاه الملف النووي الإيراني، حيث أكد على ذلك الرئيس بوش بالقول لا نستبعد الخيار العسكري لتسوية الملف النووي الإيراني، ومن ثم فإن الرد الإيراني قد يأخذ أشكالا عديدة منها أن تقوم إيران عن طريق حزب الله بقصف عشوائي لإسرائيل مما قد يؤدي إلى تصاعد العنف من إسرائيل والدول المجاورة وقد تقوم إيران بضرب القواعد الجوية والقطع البحرية الأمريكية في دول الخليج العربية من خلال استخدام صواريخ أرض-أرض، وهو الأمر الذي ينذر باحتمال أن تتحول المواجهة المباشرة المتوقعة بين إيران والولايات المتحدة إلى حرب إقليمية عواقبها عديدة منها إمكانية قيام إيران بإغلاق مضيق هرمز مما يعوق تدفق النفط الخليجي إلى الدول الغربية والولايات المتحدة، وإذا فرضت عقوبات على إيران بطريقة تهدد مصالحها الوطنية فإنها لن تسمح بتصدير نفط من المنطقة، فضلا عن أنها قد تستهدف السفن الأجنبية الأمر الذي من شأنه التأثير على حركة الملاحة في الخليج، ومن ثم على استقرار الأسواق النفطية وهو ما سوف يؤثر سلبا على اقتصاديات دول مجلس التعاون الخليجي التي تعتمد بشكل أساسي على النفط كمصدر مهم للدخل القومي ومن ناحية ثالثة، قد تستهدف إيران المصالح الأمريكية في المنطقة سواء كانت شركات أو مصانع أو حتى أفراد.

ب- صعوبة التوصل إلى صيغة مشتركة لأمن الخليج :

مز الآثار المهمة بالنسبة لامتلاك إيران سلاحا نوويا صعوبة التوصل إلى صيغة مشتركة لأمن الخليج، حيث تعد تلك القضية من القضايا الخلافية في العلاقات الإيرانية- الخليجية، فإيران تطالب دوما بأن يكون لها دور في الترتيبات الأمنية الخاصة بالمنطقة انطلاقا من أن أمن الخليج هو مسئولية دوله، الأمر الذي يتعارض مع رؤية دول المجلس الست لتلك القضية التي ترى في الوجود الأجنبي عاملا مهما لضمان أمنها، وفي ظل هذا الاختلاف طرحت عدة صيغ لأمن الخليج من جانب إيران، فضلا عما أوردته مراكز الدراسات المتخصصة في هذا الشأن، إلا أن إصرار إيران على امتلاك السلاح النووي من شأنه أن يعوق إمكانية التوصل إلى صيغة أمنية مستقبلية لأمن الخليج وذلك لعدة اعتبارات:

أولها: إمكانية قيام سباق نووي ليس في منطقة الخليج فحسب وإنما في المنطقة العربية كلها، حيث ستعمل الدول العربية جاهدة من أجل دخول النادي النووي وهو الأمر الذي أكد عليه يوشكا فيشر وزير الخارجية الألماني بالقول من أن تسلح إيران بأسلحة نووية سيكون بمنزلة (كابوس) لدول الشرق الأوسط التي تعاني بالفعل من انعدام الأمن والاستقرار، وهو المعنى نفسه الذي أكد عليه أمير دولة قطر بالقول إن منطقتنا مشمولة بالخطر إذا أخذنا بالاعتبار وجود دولتين نوويتين على أطراف المنطقة هما الهند وباكستان اللتان أصبحتا متساويتين في القوة النووية، بالإضافة إلى وجود البرنامج النووي الإيراني، ومن ثم لن تقف الأطراف الأخرى موقف المتفرج مما يحدث.

وثانيها: أن دول مجلس التعاون الخليجي في سعيها لإقامة صيغة أمنية مشتركة في الخليج لا بد وأن تحصل على ضمانات دولية ملزمة من المجتمع الدولي بشأن إجراءات بناء الثقة مع الأطراف الإقليمية ومنها إيران، وأول هذه المتطلبات عدم تهديد أمن تلك الدول سواء بامتلاك الأسلحة النووية أو غيرها .
وثالثها: امتلاك إيران للسلاح النووي من شأنه أن يقوض كافة الخطوات التي يبذلها الجانبان الخليجي والإيراني واستهدفت حسن الجوار وتعزيز الثقة والمنافع المتبادلة، وصولا إلى إيجاد منظومة أمنية وإقليمية تقوم على أسس عدة يأتي في مقدمتها نبذ اللجوء إلى القوة وحل كافة القضايا العالقة بالحوار والتفاوض، وبالتالي فإن امتلاك إيران للسلاح النووي يمثل ردة في العلاقات التي يشوبها توتر بالفعل نتيجة الإصرار الإيراني على احتلال الجزر الإماراتية الثلاث، واعتبار القضية شأنا إيرانيا داخليا بالرغم من كونها إحدى أهم القضايا الثابتة على جدول أعمال القمم الخليجية السنوية .

ج- الآثار البيئية المباشرة :

تعد دول مجلس التعاون الخليجي في مقدمة التي سوف تصاب بالضرر المباشر ن جراء الأسلحة النووية الإيرانية، حيث يقع مفاعل بوشهر الذي يمد أحد أهم مرافق المشروع النووي الإيراني على بعد ٢٨٠ كم من مدينة الكويت ويعتمد هذا المفاعل بصفة أساسية على تقنيات مستوردة من روسيا التي لا تملك عناصر الأمان النووي المضمونة وبالتالي فإنه في ظل الحظر الغربي على الآلات والمعدات التي تستخدم في الصناعة النووية.

فإن إيران قد تسعى لإنجاز وإتمام تسلحها النووي اعتمادا على آلات نووية أقل ضمانا، ومن ثم تصبح دول الخليج في مرمى الخطر إذا ما حدث تسرب وثمة شواهد تاريخية على مثل هذه الأخطار ومنها حادث تشرنوبل عام ١٩٨٦ ومن ناحية أخرى، فإن إيران في محاولتها التخلص من النفايات النووية قد تتجه إلى التخلص من الماء الثقيل في الخليج الأمر الذي من شأنه أن يخلق أزمة تلوث لكل دول المنطقة تنتج عن تسرب المواد النووية المشعة في مياه الخليج وتستمر آثارها عشرات السنين .

د- مأزق الدول الخليجية في حالة نشوب حرب :

ويعد هذا الأثر أحد أهم تداعيات امتلاك إيران للسلاح النووي، حيث تؤكد كافة المؤشرات أن الولايات المتحدة لن تتراجع عن استخدام القوة ضد أي قوة نووية محتملة، وفي هذا الصدد أشار تقرير معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى الصادر مع تولي الرئيس بوش فترة رئاسته الثانية أنه إذا استطاعت دولة معادية للولايات المتحدة أن تحصل على أسلحة دمار شامل، خاصة الأسلحة النووية فإن الخطر سيكون كبيرا ومحوريا، وشدد التقرير على أن الولايات المتحدة لا بد أن تكون أشد قلقا فيما يتعلق بإيران وامتلاكها أسلحة نووية، ولعل هذا ما يفسر التحول في خطاب الإدارة الأمريكية خلال شهر أغسطس عام ٢٠٠٤ الذي أكد فيه بوش أنه لا يستبعد الخيار العسكري ضد إيران في حال عدم توقفها عن تخصيب اليورانيوم، وفي ظل إمكانية نشوب حرب ضد إيران فإن دول مجلس التعاون الخليجي سوف تواجه مأزقا حقيقيا حيث إنه إذا كان للدول الخليجية مصلحة أكيدة في التخلص من النظام العراقي السابق سواء أعلنت بعضها ذلك أو لم يعلن البعض الآخر، إلا أن الأمر يبدو مختلفا بالنسبة للحالة الإيرانية التي يصعب معها التكهن بنتائج هذا العمل سواء كان ضربة استباقية أو عمليات عسكرية متصلة، حيث لن تكون الدول الخليجية الست بمنأى عن تداعيات مثل هذه الأعمال.

صناعة الأعداء واستدعاء الكارثة:

لقد صدرت مؤخراً دراسات إستراتيجية عديدة عن احتمال هجوم إسرائيلي على المنشآت النووية الإيرانية، وعن العلاقات الإيرانية الأمريكية، والعلاقات الإيرانية العربية وتبدو دراسة مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية أكثر الدراسات أهمية، فهي دراسة عسكرية مفصلة ومدعمة بالصور والخرائط عن احتمال ضرب إسرائيل للمنشآت النووية الإيرانية وأهم ما في هذه الدراسة وأخطره بالنسبة لموضوع العلاقات العربية الإيرانية، هو ما ذكره المؤلفان من آثار ضرب إسرائيل لمفاعل بوشهر النووي الإيراني.

فقد بين الباحثان أن ضرب مفاعل بوشهر سيؤدي إلى مقتل آلاف الأشخاص المقيمين قريبا من المفاعل فورا، ثم موت مئات الآلاف بالسرطان ممن يقعون في دائرة التسرب الإشعاعي أما هذه الدائرة المميتة فهي تشمل بشكل يقيني البحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة ويتعجب قارئ هذه الدراسة مما تكشفه من نتائج تعد كارثة مذهلة كيف فقدَ بعض القادة العرب الشعور الإنساني والبصيرة السياسية في تحريضهم على ضرب إسرائيل وأمريكا لإيران فإذا كان هؤلاء القادة لا يملكون شعورا إسلاميا أو إنسانيا حول موت مئات الآلاف من الإيرانيين الأبرياء، فهلاَّ ملكوا حسا وطنيا أو قوميا تجاه الشعوب العربية المجاورة لإيران التي ستكون في مدى التسرب الإشعاعي وتدل الدراسات الإستراتيجية الصادرة مؤخرا على التخلف الذهني لدى قادة ما يدعى معسكر الاعتدال العربي وضعف حسهم الإستراتيجي، فقد أجمعت هذه الدراسات الأربع على أن البرنامج النووي الإيراني قد خرج من عنق الزجاجة، ولم يعد من الممكن وأده، وأن من الأصلح لأمريكا ولإسرائيل التعامل مع إيران باعتبارها دولة نووية من الآن وقد أكدت دراسة إسرائيلية على أن الوقت في صالح إيران كما أن الظروف الدولية في صالحها وتجمع الدراسات الثلاث الصادرة عن المؤسستين الأمريكيتين (راند ومعهد الدراسات الإستراتيجية والدولية) على نصيحة القادة الأمريكيين بالآتي:

* التعامل مع إيران منذ الآن بمنطق الردع والاحتواء، لا بمنطق المواجهة الهوجاء، فثمن المواجهة سيكون كارثيا على كل الأطراف، بما فيها الطرفان الأمريكي والإسرائيلي.

* تطوير نظام إقليمي في المنطقة يشمل إيران، وهو ما يعني حمل الدول العربية على قبول إيران جزءا من منظومة النظام الإقليمي الخليجي شاءت أو أبت.
* مراعاة المصالح والمطامح الإيرانية في المنطقة ومنها طموحها في أن يكون لها نصيب من النفوذ في المنطقة العربية التي هي الآن في موقع المتأثر لا المؤثر الإستراتيجي.

أما الدراسة الإسرائيلية فتنصح قادة اليمين المتعصب الذين يمسكون زمام الأمور الآن في الدولة العبرية أن يعدوا أنفسهم من الآن عقليا وعمليا للتعامل مع إيران مسلحة بسلاح نووي قادر على الوصول إلى إسرائيل، كما تنصح بعدد من الخطى الاستباقية الآن، ومنها التخلي عن لغة التصعيد والدعاية حول الخطر الإيراني، والبحث عن وسائل التعايش معها، وحل القضية الفلسطينية بسرعة سدا للذريعة أمام المواجهة النووية.

متى يتحرر العرب من عقدة إيران؟

لا شك أن الموقف العربي الرسمي والشعبي بعد أن دارت رحى الثورات يختلف عما قبله وأغلب الظن ان صفحة جديدة في التاريخ العربي تفتح الآن لتطوي صفحات عاشتها الشعوب العربية على مر عقود أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أنها كانت عهود ظلم وظلام وقد آن الأوان لمحو آثارها والانتقال إلى مرحلة جديدة لابد أن يختلف مضمونها الحالي والمستقبلي عن الماضي ولا تزال بعض الأصوات العربية لا ترحب بعودة العلاقات العربية مع إيران من أي جانب، حيث لا تزال الحيطة والحذر تشوب هذه العلاقة العربية الإيرانية، فضلا عن عدم الثقة المفتعلة إن صح التعبير لأسباب عديدة نخص بعضها أو بالأحرى أهمها مما يعيق بناء هذه العلاقات فبعد نجاح بعض الثورات العربية في التخلص من أنظمتها البائدة وأخص منها الثورة المصرية، والأمل يراود البعض في تكوين تحالفات ربما لا تعني بالضرورة التخلى عن العلاقات العربية بالولايات المتحدة والغرب، ولكن تبحث عن تحالفات جديدة تنهي عهدا من التقزم العربي وتفتح صفحة جديدة مع قوى إقليمية تبحث عن ثقل لها كما تعطي الثقل الإقليمي لمن يتحالف معها ليس المقصود بالتحالف هنا هو معاداة أطراف أخرى، أو قطع علاقات مع أطراف بعينها.

ولكن التحالفات العربية الجديدة يجب أن ينظر إليها على أنها تحالفات تعطي بعدا إقليميا لصالح كل الأطراف المعنية، كما أنها تحتوى الآخر إذا كان مبدأ الشك هو السائد حتى الآن(١).

فمثلا العلاقات العربية الإيرانية نرى من منظور شخصي أنها هامة في المرحلة الحالية، لأنها تعد تمردا على أوضاع أساءت إلينا نحن كعرب وجعلت من إيران بالنسبة للبعض، كابوسا إقليميا يجب الخلاص منه، وهذا موقف الخائف الضعيف، الغير واثق من قدراته أو المسيطر عليه من جانب قوى غربية ليس من مصلحتها أن ترى علاقات عربية إيرانية تعود إلى ما يجب أن تكون عليه. هذا وتدعي بعض الأنظمة العربية أن لإيران مآرب خبيثة تكمن في تصدير الثورة، وهذا مزعج جدا لبعض الأنظمة العربية الحاكمة، أو مد التشيع بين أهل السنة، ورغم أن التبشير بالمسيحية له رواده من الغرب وله مفعوله في الشرق، إلا أن أحدا لم ينزعج من الجمعيات التبشيرية زعما بان الدين الإسلامي من المستحيل اختراقه وتنصير أبنائه، وهذا صحيح إلى حد بعيد، فلماذا إذا الخوف من المد الشيعي المزعوم، أم هي عقدة أنصار علي وأنصار معاوية؟ حتى على المستوى الإقليمي، فلنا في أوروبا وأمريكا المثل، فقد استطاعت أوروبا من توحيد أقطارها لتحتوي معظم دول أوروبية كانت بينها حروبا نعتت بالحروب العالمية، ولكن الإرادة في التوحد والتكامل والمصالح جعلت من أعداء الأمس حلفاء اليوم، وكذلك الحال بالولايات المتحدة التي شهدت حربا أهلية ضروسا انتهت بالولايات المتحدة الأمريكية التي تعد الإمبراطورية المهيمنة على سائر دول العالم الآن.

من العقل والحكمة أن يسعى العرب إلى محو هذه العقدة الفارسية التي هي من صنع الأنظمة التي تخشى من أي مد ثوري أو إسلامي ولو شعبي يطيح بكراسيها كما أطاحت ثورتي تونس ومصر بأنظمة كان من المستحيل ولو في الخيال أن تصل إلى هذه الدرجة من الذوبان. وكما أن للعرب أمجادهم وحضارتهم التي يتباهون بها، فإن لإيران الحق في الإفتخار بحضارتها الفارسية كيفما شاءت، أليس يعقد في أراضي العرب مؤتمرات لحوار الأديان والحضارات؟ فلماذا يستثنى الحوار مع إيران إذا كنا من أنصار ورواد هذه المؤتمرات، أم أننا نحن العرب علينا إظهار التسامح والمودة مع أديان أخرى على حساب مذاهبنا المختلفة؟

رؤي تحتم الصراع العربى الايرانى:

تحكم العقلية الفارسية فكرة مفادها إقامة إمبراطورية فارسية تمتد من مركزها مدينة قم ذات البعد الديني إلى كل الاتجاهات تضم معظم الوطن العربي واللحظة في نظر القيادة الإيرانية مواتية لبسط نفوذها على المنطقة العربية بأسرها إنطلاقاً من الأحواز وبعض المراكز والجيوب التي نجحت إيران في تشكيلها في الواقع العربي، ذلك لأن العرب يمرون بأسوأ مراحل تاريخهم بضعف قدرتهم على مواجهة التحديات، وتفكك العلاقات الداخلية العربية، وغياب دور العراق المحوري كرادع لطموحات إيران التوسعية، كل هذا سهل للتوغل الإيراني والتمركز في أهم أجزاء الوطن العربي (الأحواز، العراق، سوريا، لبنان، فلسطين) ومؤخراً نحو اليمن، هذا فضلاً عن وجودها السري (الخلايا النائمة) في دول الخليج العربي كل هذا يتم بالتحالف مع الأعداء التاريخيين للأمتين العربية والإسلامية.

يرى المحللون السياسيون والإستراتيجيون أن المشروع النووي والتسلح الصاروخي وترسانة الأسلحة الهائلة التي تكدسها إيران توضح لنا حتمية الصراع العربي الفارسي الذي لا يحتاج إلى براهين وأدلة،وأن نزعة العدوان الفارسي ضد الأمة العربية مبعثها روح الكراهية والأحقاد التاريخية وأطماع التوسع الإقليمي والسيطرة على المقدرات العربية،ويستدعي ذلك بالضرورة التنفيس عن أحقادهم المتوارثة والثأر من العرب والعمل على إبعادهم عن مكانتهم التاريخية والحضارية كما أخرجوهم من حضارة عبادة النار إلى عبادة الله وحضارة الإسلام.

إن الشوفينية الفارسية تتناسى أن الأمتان العربية والفارسية متجاورتان وتجمعهما قيم الحضارة الإسلامية ويفترض أن تكون بينهما علاقات حسن الجوار وتبادل المصالح. وذكرُنا لكل هذه العلاقات لا يعني إلا تعزيز الواقع التاريخي بالرغم من علمنا أن هذا التناسي مبعثه أن الشوفينية الفارسية تسعى إلى تعزيز منطلقاتها التي تعتمد الكراهية والرفض لهذه العلاقات التاريخية التي تربطها بشعوب المنطقة، وهذا ما يكشف لنا غطرسة الفكر الفارسي ونظرته الحاقدة على الأمة العربية وشراهته فى نهب الثروات والسيطرة على كل مقدرات القوة لدى العرب.

وعن تمحور العقلية الفارسية لإقامة إمبراطوريتها على حساب الشعوب المجاورة لها نرى أن الفرس باحتلالهم للقطر الأحوازي إقتطعوا من الوطن العربي جزء مهم من الناحية الإستراتيجية إذ تكمن في ألأحواز قوة الكيان الإيراني لما توفره له من عوامل جيوسياسية وإقتصادية تدعم مشروعه،فهي المعين الذي لا ينضب لبناء قوة إيران، فإذا كان النفط يعتبر عمود الإقتصاد الإيراني القوي فإن أكثر من٨٥% من إنتاج إيران يستخرج من الحقول الأحوازية، بجانب إحتياطي الأحواز من الغاز الذي قفز بإيران إلى مصاف أكبر الدول إمتلاكا لإحتياطي الغاز في العالم هذا عدى تلاعبهم بمسار أنهار الأحواز العذبة وتحويلها إلى بلاد الفرس وهنالك ثروات أخرى كثيرة هبة الله لأرض الأحواز أصبحت جميعها في قبضت الفرس المحتلين وحُرم منها أصحابها الأصليين.

بإحتلال الأحواز خطى الفرس خطوتهم الأولى نحو تحقيق حلمهم المزعوم، إذ أصبحت إيران دولة مطلة على بحر الخليج العربي كمنفذ يوصلها بالعالم،وصارت تشرف على مضيق باب السلام الذي أطلقت عليه لاحقاً مضيق (هرمز) الذي يعتبر أهم مضيق مائي في العالم حيث تمر عبره أكثر من ٦٠% من نفط العالم، بل أصبح الفرس بذلك على مشارف الجزيرة العربية وأرض الحرمين الشريفين،وبلاد الرافدين لتتوطد أحلامهم المشابهة لأحلام (أبرهة الأشرم) وفطن الفرس أن سيطرتهم على مقدرات العرب في المياه الدافئة سوف تقوي نفوذهم إقليمياً ودولياً لذلك دخلوا في حلف تآمري مع المستعمر البريطاني الذي مكنهم من الأحواز خدمة لحساباته السياسية في المنطقة في مواجهة الإتحاد السوفيتي (القوة الناشئة)آنذاك،وعلى مدى عقود الاحتلال لم تكف إيران عن الإعلان عن أطماعها في منطقة الخليج العربي بصور مختلفة،وكانت حرب الخليج الأولى أقوى هذه الصور وإن أصيبت أحلامها بتصدعات عميقة جرّاء هذه الحرب التي خرجت منها مهزومة وكاد حلمها يتبخر، إلا أنه ما لبثت أن عادت لها آمالها وترممت أحلامها بعودة المستعمر الغربي إلى بلاد الرافدين الذي ما كان له أن يظفر بسقوط بغداد وكابول في يده لولا الدعم الإيراني الحاسم له لوجيستياً ومخابراتياً.

من المحزن أن يكون واقع العرب من الضعف عدم قدرتهم على رد الفعل حتى في حدوده الدنيا بعد أن ثبت بكل المقاييس عجزهم التام عن الفعل فبالرغم من الثروات الهائلة التي تتيح لهم أسباب القوة المادية وغير المادية، وتمكنهم من التحكم على مسارات السياسة الدولية نرى أن العرب أصبحوا أضعف الحلقات المستهدفة في هذا العالم بإبتزازهم حيناً وضربهم أحياناً،بل الأدهى والأمر أن ثروتهم التي هي هدف الأعداء في المقام الأول تتحول إلى وسيلة للعدوان عليهم، وأكثر من ذلك إيلاماً أن يكون العربي عونا للعدو على أخيه العربي. إنها حالة يستحيل معها العلاج إن لم يفيق العرب ويعوا ذاتهم و حقيقة مصيرهم المحتوم إذا ما بقوا في غيهم، فمن المحال إذن أن يغيِّر الله ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

تكمن فكرة مسيطرة على العقل الحاكم الإيراني ملخصها أمرين، الأول: إقليمي والثاني عقدة نفسية منشأها الإمبراطورية المشتهاة فإقليمياً ترى إيران أن الفرصة مواتية لبسط نفوذها على الشرق الأوسط بأسره، فالعالم العربي يمر بأضعف حالاته العلاقات العربية-العربية متردية وممزقة أيضاً، وما لم تتمكن الجمهورية الإسلامية من تحقيقه بـ خوازيقها عبر نسج تحالفاتها وعبر التسليح الصاروخي وتوحيد الهتاف الاستراتيجي، الموت لأمريكا،الموت لإسرائيل،وزيد عليه بعد حرب غزة الموت للخونة العرب التي يدعي محور الممانعة أنه انتصر فيها أما العقدة النفسية فهي الإمبراطورية الفارسية التي تعاني منها إيران منذ حرب القادسية وصولاً الى القرون الحديثة فخلاصتها، أن إيران تحلم باستعادة مجد فارس، والأراضي التي فقدتها منذ القرن التاسع عشر، فهي تريد استعادة المقاطعات الغربية في باكستان (الحدود الشمالية الغربية وبلوشستان)، التي يتحدث غالبية سكانها من البشتون والبلوشيين اللغة الفارسية، وتتطلع إلى استعادة رقعة واسعة من منطقة القوقاز ضمتها الامبراطورية الروسية خلال القرنين الـ ١٨ والـ ـ١٩،وتتطلع إلى استعادة أراضي أذربيجان وأرمينيا.

كذلك يعتبر الإيرانيون أن جورجيا التي كانت محافظة فارسية في عهد الساسانيين يجب أن تعود إلى أحضانهم، أما العراق فهو أصلا جزء مما كان يسمى إيران الكبرى هذا ما يذهب إليه الكثير من المحللين والمراقبين بدقة للتاريخ الإيراني وللحركة الإيرانية الحالية، أما سورية فطموحها الوحيد والأبدي استعادة لبنان.

هذا ما يراه المحللون السياسيون والاستراتيجيون، أما حتمية الصراع من وجهة نظرنا المتواضعة فلا تحتاج إلى جهد عظيم للتوصل إليها، فلنا في الحقبة العباسية في العز العربي الذهبي للخلافة عبرة، فإعادة قراءة التاريخ مفيدة، وعلى قرب عهد بالإسلام والخلافات الإسلامية العزيزة لا في واقع التمزق والوهن العربي الحالي، وكان الشعر والأدب جزءاً من مرآة الصراع يومها.

خطة إيران في المنطقة:

إيران ليست مستعمراً عابراً، ولا غازياً سيقتل أو ينهب ثم يهرب، ولهذا فالعلاقة معها من المفروض أن تكون بأيدي عقلاء الشعوب في المنطقة، ولا يبدو لي أن سكان المنطقة ولا أهلها لهم علاقة بتدبير السياسة لمواجهة إيران، إيران تدبر أمرها بنفسها، والمنطقة العربية لا تستطيع، أو هي محرومة من أن يكون لها صلة بنمط العلاقة مع إيران.

الحكومات العربية اليوم مطلوب منها التحذير من إيران، والانضمام تحت الرعاية الإسرائيلية ضد إيران، ولكن هل سمح للعرب أن يفكروا في الأمر؟ قد تكون إيران خطيرة فعلا، أو قد يكون الترهيب منها حيلة على العرب للاستسلام للعبودية التامة للصهاينة فهل يستخدمنا غيرنا للقضاء على استقلال إيران، ليصبح مثل أغلب العرب مستعمرات صهيونية وأمريكية متى سمح لسكان المنطقة لنقاش الأمر بحرية، فسيكون لهم موقف قد يكون مطابقا لكلام الإعلام الموجه، وقد يكون مخالفا والتجربة التركية المتمثلة في حزب العدالة والتنمية سجلت حضوراً قويا في الساحة وجاء لأسباب عديدة منها أن تركيا تحت هذه الحكومة العدالة والتنمية عادت للشعب التركي تمثل صوته الحقيقي، وحكومة شابة لها برنامج شامل وصياغات جديدة للفكر والسلوك، وللعلاقات فهي عمليا ترجع لمحيطها، سياسة واقتصادا، وهي حكومة نظيفة، مقارنة بما سبقها، وهي واقعية فلم تعترض على مقومات الحكم ورمزه السابقة، أدركت حدودها وسارت فيها بأسرع ما يمكنها، إنها حكومة أمل ونموذج، ولكن سيضع كثيرون عراقيل كبيرة في طريقها، أول العراقيل، عبيد الوثنية أو الوطنية الأتاتوركية، ثم خصوم بعداء، سيستخدمون الأكراد، والتاريخ وربما العرب،ولا أستبعد حتى دول تبدو عدوة للغرب الآن، الغرب لديه خوف ورصيد حقد طويل على الأتراك مهما تعلمنوا، فكيف وقد لاح الإسلام على عملهم!

الباب الخامس
أمريكا وإسرائيل والعلاقات العربية الإيرانية

العلاقات المصرية الإيرانية:

يعود تاريخ العلاقات المصرية الإيرانية في العصر الحديث إلى القرن التاسع عشر حيث وقعت اتفاقية أرضروم بين الدولة القاجارية الإيرانية والدولة العثمانية والتي جاء فيها أن الدولة الإيرانية تستطيع تأسيس قنصليات لها في الولايات العثمانية فتم افتتاح قنصلية لرعاية المصالح الإيرانية في القاهرة، وكان أول سفير إيراني في مصر هو حاجي محمد صادق خان وقد أعقب ذلك توقيع اتفاقات صداقة بين البلدين عام ١٩٢٨ وكان تطورا جديدا في العلاقات بزواج يقرب بين العائلتين الملكيتين في الدولتين، حيث تزوجت الأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق الأول - من ابن الشاه الإيراني محمد رضا بهلوي وكانت العلاقات مقطوعة بشكل عام منذ الثورة الإيرانية في ١٩٧٩ بسبب استضافة مصر لشاه إيران السابق محمد رضا بهلوي ولا تزال العلاقات سيئة بسبب تسمية شارع في إيران باسم خالد الإسلامبولي الذي قام بقتل الرئيس المصري أنور السادات وزادت العلاقة سوء بعد عرض فيلم وثائقي من إنتاج إيراني يمجد قاتل أنور السادات .

محددات العلاقة المصرية الإيرانية:

العلاقة المصرية الإيرانية لها ثلاث محاور تتمثل فى طبيعة النظام الدولى ، الكيان الصهيونى ، الدور الاقليمى لكل دولة ومناطق النفوذ مشيرا إلى ان المحدد الدولى مهم وسيؤثر على مستقبل العلاقات المصرية الإيرانية والكيان الصهيونى حدث له حالة عدم توازن بعدما شهد العالم العربى تلك الثورات والتى ستاتى بحكام من رحم تلك الثورات وسيكون ولائهم لشعوبهم وإيران بلا شك لها نفوذ اعتمادا على المذهب الشيعى سواء فى الكويت او البحرين وفى نفس الوقت لها نفوذ فى مناطق سنية فى سوريا وفى لبنان وفى فلسطين ولكن نحن لا نمانع فى ان يكون لإيران دور ونفوذ ومصالح لكن ينبغى ان نحدد هذا الدور وحجم هذه المساحة وعوامل الخوف من إيران تتحدد فى الاتى :المد الشيعى لمصر عن طريق نشر التشيع وهذه فزاعة كانوا يرهبونا بها سابقا فنحن شعب ليس خاويا فرفع شعار ارفع راسك فوق انت مصرى كان لشعورنا بالدونية بين الشعوب والسبب فى ذلك ما تسبب فيه حكامنا من مذلة فمصر دولة قوية ذات حضارة وذات ثقل سياسى

ويجب ان تبحث عن مصالحها اينما وجدت وعن الضغوط الخارجية فهناك خريطة جديدة للعلاقات الدولية ستقوم على المصالح المشتركة وليس كما سبق وكل الدول العربية التى زايدت على مصر لمجرد أنها قررت ان تقيم علاقات مع إيران لها علاقات وطيدة بطهران منها على سبيل المثال الإمارات العربية هناك ٣٢ رحلة جوية بين دبى وطهران ١٢ مليار دولار حجم التبادل التجارى١٠شركة إيرانية تستثمر فى دبى ٤٠٠٠سائح إيرانى يزورون دبى كل عام .

وبعد أن أعلن سياسيون مصريون وإيرانيون عن رغبتهم فى التقارب وإعادة العلاقات بينهما غادر الدبلوماسي الإيراني مصر بعد ان اتهمته السلطات المصرية بالتجسس في بلادها، وكان الدبلوماسي قاسم الحسيني يعمل ببعثة مكتب رعاية المصالح الإيرانية، وقد أعلنت مصر عدم رغبتها فى وجوده على أراضيها، إن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين مقطوعة على درجة تبادل السفراء، وهي تقتصر على مستوى بعثة مكاتب لإدارة شئون مواطنيها الذين يتواجدون في البلد الآخر فقط، انقطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين منذ قيام الثورة الإيرانية سنة١٩٧٩وحاولت إيران في الفترات السابقة تحسين علاقاتها مع مصر ولكن لم تسنح لها الفرصة إلا بعد تنحي حسني مبارك عن السلطة واشارت كل البوادر الى نية الطرفين في تحسين العلاقات بين البلدين، الا ان هذه الحادثة ربما ستسبب تعثر العلاقات مرة ثانية.

والمذهب الشيعى يختلف كثيراً عن مذهب السنة وأهم ما يعيبه السنة على الشيعة: عصمة الإمام وسب الصحابة وخاصة وزيرى رسول الله الكريمين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب والسنة محقون فى هذين السببين الخطيرين وقد حفلت منابر مساجد أهل السنة فى مصر بالتحذير من الخطر الشيعى فى مصر فضلاً عن مهاجمة أفكار الشيعة خاصة فى مسألة سب الصحابة رضوان الله عليهم ولكن الأمر تعداه إلى رفض عودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الإيرانية رغم أنه شأن سياسى محض يخضع للمصلحة والمفسدة فى المقام الأول والآن أصبح معظم هؤلاء الدعاة قاب قوسين أو أدنى من حكم مصر وهؤلاء كانوا يرفضون من قبل عودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الإيرانية فضلاً عن شنهم حملات دعوية مركزة على إيران نفسها باعتبارها حامية للشيعة فى العالم ومصدرة لفكره فى المنطقة العربية

فماذا سيكون موقف هؤلاء الدعاة بعدما أصبحوا رجال دولة؟ وهل سيستمرون على موقفهم الرافض لعودة العلاقات المصرية الإيرانية؟ وكيف سيتحدثون عنها من منظور الدولة ورجالها؟ فإذا قالوا نقطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران سيكون ذلك غير مبرر وغير مقبول لدى الجميع فكيف تقطع العلاقات مع إيران وتحافظ على العلاقات مع إسرائيل فإيران دولة إسلامية لا تحتل دولاً عربية وإسلامية وإسرائيل تحتل أرضاً عربية وبينك وبينها حروب طويلة أعقبها سلام بارد منفرد مع مصر والأردن وكيف لا تقيم علاقات مع إيران وأنت تقيم علاقات مع أمريكا التى كانت تحتل إلى وقت قريب دولتين إسلاميتين وقتلت فى العراق وحده مئات الآلاف ودمرت العراق وامتصت ثرواته هذه أسئلة منطقية سيواجهها هؤلاء بقوة سيقول البعض إن إيران تريد نشر المذهب الشيعى فى مصر على حساب السنة. حتى إذا حدث ذلك فأين دعاتك وعلماؤك ومخابراتك وأمنك القومى أليس للسنة علماؤها وفقهاؤها وحجتها القوية فلماذا نخاف هكذا؟ ولماذا الخوف من إيران المسلمة فقط التى تساعد فى قضايا إسلامية كثيرة أهمها القضية الفلسطينية التى أضرت بإيران ضرراً كبيراً.

ينبغى على كل دولة أن توسع علاقاتها مع الجميع وفى نفس الوقت تحمى عقائدها وأفكارها وأمنها القومى دون أن تنعزل عن الكون ثم إن المشتركات بين مصر وإيران أكبر من المشتركات بين مصر وأمريكا وبريطانيا وروسيا والصين التى يحرص الجميع على علاقاتنا الدبلوماسية بها الآن ومستقبلاً. وكل هذه البلاد لها أيديولوجيات وأطماع وسابق احتلالات وثارات بينها وبين معظم الدول العربية الإسلامية مع أن إيران ليس لها هذا الإرث الاستعمارى ثم إن ضابط علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى ليس الولاء والبراء الدينى كما يحدث فى فقه الدعوة ولكن ضابطه كما قال معظم الفقهاء هو المصلحة.

إن التقارب بين مصر وإيران لم يتحقق إلا فى المراحل التى يدور فيها البلدان معا فى فلك الاستراتيجية الغربية، أما فى فترات التحول الثورى فى أى من البلدين فعادة ما تنشط محاولات الوقيعة بينهما للحيلولة دون انخراطهما معا فى جبهة معادية للغرب. فقد لاحظت أنه لم تكن هناك أى مشكلة فى وصول علاقات التعاون بين البلدين إلى الدرجة التى تسمح لهما بعقد روابط مصاهرة بين الأسرتين الحاكمتين حين كان البلدان يدوران معا فى فلك الاستراتيجية الغربية.

وهو ما حدث عام ١٩٣٩ حين تم زفاف الأميرة فوزية، شقيقة الملك فاروق، على محمد رضا بهلوى، ولى عهد إيران فى ذلك الوقت ولأن الشاه تولى عرش إيران بعد عامين من هذا الزواج، فقد أصبحت الأميرة المصرية إمبراطورة متوجة على إيران ورغم أن هذا الزواج لم يدم طويلا، إلا أنه كان مؤشرا على أن أبواب التقارب بين البلدين بدت فى ذلك الوقت مفتوحة على مصراعيها غير أن رياح التغيير ما لبثت أن هبت على المنطقة لتباعد بين البلدين ففى عام ١٩٥٢ قادت جماعة الضباط الأحرار ثورة فى مصر تبنت سياسات وضعتها تدريجيا فى تناقض حاد مع المعسكر الغربى وحلفائه فى المنطقة، بينما اندلعت فى إيران عام ١٩٥٣ ثورة بقيادة مصدق نجحت المخابرات المركزية الأمريكية فى إجهاضها وإعادة الشاه المخلوع إلى عرشه لتصبح إيران بعد ذلك ولسنوات طويلة ركيزة السياسة الغربية فى المنطقة وكان من الطبيعى أن يؤدى هذا التحول إلى تباعد تدريجى بين البلدين لم يتوقف إلا بعد رحيل عبد الناصر وتولى الرئيس السادات مقاليد الأمور، لتبدأ مرحلة جديدة من التعاون، لكنها لم تطل هذه المرة بعد أن أصر التاريخ على تغيير مساره وعكس الأوضاع فى المنطقة رأسا على عقب فقد اندلعت ثورة إسلامية فى إيران هذه المرة وحوّلتها من دولة ركيزة للسياسات الأمريكية والإسرائيلية فى المنطقة إلى أكثر دول المنطقة عداء لهذه السياسات، بينما كانت مصر بقيادة السادات تتجه غربا وتتهيأ لإبرام معاهدة سلام مع إسرائيل ولأن السادات كان يرى فى إيران الشاه حليفاً استراتيجياً فى مرحلة التسوية مع إسرائيل فقد بالغ فى عدائه للثورة الإسلامية إلى حد الإقدام على قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران الثورة لكن أكثر ما يثير الدهشة فى تاريخ العلاقات المصرية - الإيرانية هو أن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ظلت مقطوعة حتى يومنا هذا رغم رحيل السادات منذ ما يقرب من ثلث قرن، وهو أمر غير مألوف فى تاريخ العلاقات الدبلوماسية بين الدول لذا ما إن أطاحت ثورة ٢٥ يناير المصرية بنظام مبارك، الذى اقتفى أثر السادات فى سياساته تجاه إسرائيل والولايات المتحدة، حتى بدأت تلوح فى الأفق مرحلة جديدة لا مثيل لها فى تاريخ العلاقة بين البلدين فلأول مرة تبدو مصر وإيران وكأنهما مهيأتان للسير فى نفس الاتجاه، وأن الرغبة فى تطوير المصالح المشتركة تعلو فوق كل محاولات الوقيعة بين البلدين وكانت تلك هى الروح التى عكستها تصريحات وزير الخارجية المصرى لذا كان من الطبيعى أن تفجر هذه التصريحات آمالا وتوقعات كثيرة لدى النخبة الإيرانية بانفراج قريب فى العلاقات المصرية - الإيرانية.(١).

العلاقات المصرية الإيرانية تغضب إسرائيل وأمريكا:

رحبت إيران بتصريحات وزير الخارجية المصرى حول الرغبة المصرية فى إعادة العلاقات المقطوعة بين البلدين فقد استقبل وزير الخارجية مؤخرا رئيس قسم رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة لاستلام رسالة من نظيره الإيراني بشأن العلاقات مع إيران, ودعا إلي دراسة سبل تطوير العلاقات وذلك باستقبال وزير الخارجية المصري في طهران أو قيام وزير الخارجية الإيراني بزيارة القاهرة.

وفى المؤتمر الصحفي الأول للرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد في العام الجديد(يبدأ في٢١ مارس حسب التقويم الإيراني) أعلن أن بلاده ترغب في إقامة علاقات مع مصر وتأمل فى أن تضع تطورات المنطقة آفاقا مشرقة أمام الشعوب الإسلامية, وإننا نرغب دوما فى إقامة العلاقات مع جميع الدول والشعوب ما عدا الكيان الصهيوني لاسيما مصر ونأمل بان تجعل تطورات المنطقة آفاقا مشرفة أمام الشعوب الإسلامية إذن هي خطوات سريعة لتصحيح وضع خاطئ استمر لأكثر من٣٠ عاما متمثل, في انقطاع العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين دولتين يحلو للمسئولين الإيرانيين وصفهما بأنهما جناحا الأمة الإسلامية, واقتصارها منذ عام١٩٩١ علي مكتب رعاية مصالح والعلاقات مع إيران وهي دولة مهمة في المنطقة شئنا أم أبينا كانت من بين ضحايا السياسة الخارجية لنظام حسني مبارك الذي عطل كل خطوات التقارب وافتعل خلافا ومنع إقامة علاقات دبلوماسية كاملة تقيم مثلها دولة الإمارات التي تتنازع مع إيران علي ملكية ثلاث جزر في الخليج وكان وزير الخارجية السابق أحمد أبو الغيط يري أن إيران خطر علي الأمن القومي المصري, وأنها تسعي من خلال دعمها لحركه حماس الفلسطينية لإقامة دوله دينيه تمثل خطرا علي مصر, وأنها تخطط لذرائع وفتن تؤجج الصراع وتدفع نحو مزيد من المشكلات وعدم الاستقرار.

إيران التي رحبت بالثورة المصرية مثلما رحبت بها بقية دول العالم اتهمها أبو الغيط بأنها في تحالف غير مقدس مع أمريكا ضد مصر وذلك في معرض دفاعه عن النظام السابق في نزعه الأخير, مثلما اتهمت بأنها تعطل عملية السلام.

ومن قبل ذلك كانت العلاقات بين مصر وإيران ضحية لعداء الرئيس الراحل أنور السادات للثورة الإيرانية واستضافته للشاة الذي دفن في مصر بعدما لفظته الولايات المتحدة التي كان بمثابة شرطيها في المنطقة . وكان إطلاق اسم خالد الاسلامبولي علي أحد شوارع طهران محل حساسية وحجة لقطع العلاقات, وقد أزيل الاسم ولكن أقيمت جدارية ومثلما لا يجب ألا يتم تخليد اسم قاتل السادات فانه لا يجب أيضا ألا يظل علم الشاه مرفوعا علي مقبرته في القاهرة.

ومع تحول السياسة الخارجية الإيرانية في عهد الثورة من صداقة إسرائيل واحتقار العرب إلي معاداة الكيان الصهيوني ودعم المقاومة, أضيف عنصر توتر جديد في علاقات البلدين غطي علي جوانب الاتفاق المتمثلة في كون البلدان هما القوتين الرئيسيتين في المنطقة ويجمعهما موقف واحد بشأن ضرورة إخلاء منطقة الشرق الأوسط من الأسلحة النووية بموجب إقرار مشروع قرار اعتمدته الأمم المتحدة في ديسمبر ١٩٧٤ بناء علي طلب مصري إيراني ويتفقان علي أهمية عدم إعاقة الاستخدام السلمي للطاقة النووية في الأغراض السلمية وتطابقت وجهتا نظر البلدين في مؤتمر مراجعة معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية الأخير بنيويورك الذي تحول إلي هاجس لدي إسرائيل التي تحتكر السلاح النووي في المنطقة.

وهناك الجانب الاقتصادي الذي أوضحه وزير التجارة الإيراني في ابريل الماضي في لقاء مع مندوب الأهرام بالعاصمة طهران حيث قال ان بلاده مهتمة بتوسيع نطاق العلاقات الاقتصادية مع مصر في إطار سعيها لتطوير العلاقات مع الدول العربية والإسلامية وهناك تبادل تجاري محدود يصل الي١٠٠ مليون دولار واستثمارات إيرانية في مصر تبلغ٣٦٠ مليون دولار من خلال١٤ مشروعا تعمل في مجالات الصناعات الغذائية والمنسوجات والنقل والقطاع المصرفي وعلي الرغم من المسار التصادمي الذي اتخذه الرئيس الإيراني الحالي احمدي نجاد مع الغرب وتصريحاته النارية ضد إسرائيل والصهيونية وأمريكا, وإتباعه سياسة توصف بالتشدد, فان لغة خطاب نجاد تجاه مصر اتخذت نسقا مغايرا, حيث أكد في أكثر من مناسبة استعداد إيران لاستئناف العلاقات الكاملة مع مصر, وان طهران مستعدة لفتح سفارة في القاهرة في اليوم نفسه الذي تعلن فيه مصر استعدادها لذلك, وان الشعبين المصري والإيراني صديقان.

للرئيس الإيراني السابق تصريح مفاده أن مصر وإيران جناحان للأمة الإسلامية لا تنهض إلا بهما, وان مصر تمثل ثقلا عظيما في الأمة الإسلامية, وكانت وستظل موقع الانطلاق لمبادرة التقريب بين المذاهب. ولكن عودة العلاقات ستواجه امتعاضا أمريكيا وإسرائيليا, ومعارضة قوية من جانب السلفيين المتأثرين بالفكر الوهابي والذين يرون في إيران الشيعية دولة كافرة وينشرون كلاما حول أن للشيعة قرآنا غير قرآننا وأنهم لا يؤمنون بنبوة الرسول محمد ولا يعرفون أن الإيرانيين لا يحلو لهم سماع القرآن الذي بين أيدينا وأيديهم إلا من المقرئين المصريين.

العلاقات السورية الإيرانية:

في قراءة تاريخ العلاقات السورية الإيرانية غالبا ما يتم السؤال عن ما يلي المباديء والأسس التي تقوم عليها هذه العلاقات والأسباب التي تجعل هذه العلاقات قوية ومستقبل هذه العلاقات.

١. المبادئ والأسس التي تقوم عليها هذه العلاقات:

لقد شكلت ثوابت السياسة السورية ومشروعها الوطني والقومي كدولة محورية في الوطن العربي، إلى جانب التوجهات والإجراءات التي قامت فيها الثورة الإيرانية بدعمها وتأييدها للحق العربي الأساس في العلاقات السورية الإيرانية المتوازنة والمتناسقة فعندما بدأت الشكوك تثار حول نية الثورة بتصدير نفسها إلى دول الجوار، اتخذت بعض الدول الإقليمية والعالمية مواقف غير مؤيدة ومن ثم معادية لها (الحرب العراقية الإيرانية)، ووقفت السياسة السورية إلى جانب الثورة الإيرانية مدفوعة بالحرص على تمكين الثورة الوليدة من الوقوف على قدميها والاستفادة من إمكاناتها ودعمها في مواجهة العدو الإسرائيلي وإخراج المحتل من أراضيها، والخوف من أن يتحول الصراع إلى غير وجهته الصحيحة. وكما كانت العلاقات السورية الإيرانية محط اهتمام ومتابعة من القيادتين السورية والإيرانية لتقويتها وتطويرها وصولا إلى انجاز متطلبات ما تقتضيه عملية الوصول إلى علاقات إستراتيجية بين الدولتين، فإنها برزت كهدف للتأمر والتخريب في دائرة اهتمام القوى غير المؤيدة والمعادية تحت عناوين وحجج مختلفة يغلب عليها الزيف والتضليل.

مما جعل السياسة السورية ترد عليها بزيادة التمسك بمبادئها الوطنية والقومية وبخيار المقاومة وتعزيز علاقتها مع إيران، ولكن مع الإبقاء على مساحة بينها وبين السياسة الإيرانية لتحافظ من خلالها على استقلالها وتحيزها لبعض القضايا الأكثر ارتباطاً بمصالحها العربية والدولية, وكما ربحت سورية بموجب هذا الاستقلال، لم تخسر إيران لأن المصالح الإستراتيجية لكلتا الدولتين بقيت مصانة.

وغني عن البيان أن إيران في بداية الثورة ليست كما هي إيران اليوم الدولة القوية (سياسياً، اقتصادياً، عسكرياً) والتي حجزت لنفسها مساحة إقليمية أكبر وأصبح لها دور إقليمي وعالمي وقوى رئيسية سياسية في كل من (العراق - لبنان - فلسطين)، وكما تقيّم السياسة السورية هذا الدور لإيران ايجابياً ، فإنها في ذات الوقت تسجل على تفاصيله بعض الملاحظات التي كثيراُ ما كانت تفسرها بعض الأوساط الصحفية والإعلامية والسياسية وكأنها حجر عثرة تحد من تطور العلاقات وتضع نهايةً لها، وهذا دون شك يعود إلى خطأ في التقدير لأن الاختلاف هنا لا يفسد للود قضية وبالتالي فإن قوة العلاقات الإيرانية السورية وفتور العلاقات السورية مع بعض البلدان العربية لا يعني بأي حال تخلي سورية عن عمقها العربي الذي كان ولا يزال يحظى بأهمية خاصة في برامجها ودبلوماسيتها وأدبيات الحزب الحاكم فيها أما عن الأسباب التي تجعل العلاقات السورية الإيرانية قوية ففي اطار الأسس المشار إليها أعلاه يمكن القول أن هناك أسباب عديدة تجعل هذه العلاقات قوية من أهمها:

• موضوعية وشرعية الأسس التي تقوم عليها هذه العلاقات كونها تستجيب لتطلعات الشعوب في التخلص من الاحتلال وفي مسعاها لتحقيق حريتها واستقلالها، وتجسد إرادة ورغبة قادة البلدين الصديقين فى أهمية هذه العلاقات التي امتحناها في أوقات المحن والشدة ووجدا فيها سبيلاً ناجحاً في مواجهة الضغوط والمشاريع التي أثيرت ضدهما ووجهت للنيل من استقلالهما.

• أنها تأتي لترميم وتعويض حالة الضعف في المشروع العربي وتشتته الذي ظهر بشكل مكشوف في السنوات الأخيرة، عندما كانت سورية تتعرض لضغوط واتهامات ومؤامرات عدوانية خارجية تستهدف الوطن ومرتكزاته الأساسية، وكان بعض قادة النظام العربي يتباهون بمواقفهم مع الخارج المتآمر على سورية، وهذا ما يختلف عن موقف النظام الإيراني الذي ظهر ملتزماً بالدفاع عن موقف سورية ومعبراً عن تطلعات وأهداف الشعوب العربية والإسلامية، في مواجهة المشاريع المعادية التي كانت تحاول النيل من عزتهم وكرامتهم وتطلعاتهم الى التحرر والاستقلال والتنمية الوطنية.

وكان من الطبيعي أن تمتد آثار هذا الموقف والتعاون السوري-الإيراني إلى القوى المقاومة لتلك المشاريع في لبنان وفلسطين والعراق، وإلى حركات التحرر في العالم فأخذت منه واستقوت بمعطياته وأعطته بذات الوقت من رصيدها فزادته قوة، وهذا ما جعل من هذا التعاون عامل جذب واستقطاب للشرائح الأوسع والأهم في العالمين العربي والإسلامي وركيزة قوية يستند عليها أحرار العالم في نضالهم ضد الهيمنة والتسلط.

• إنها تأتي استجابة لحاجة كل من الطرفين لإضافة قوة جديدة إلى قوته لتعديل موازين القوى في إطار المواجهة التي فرضتها القوى المعادية عليهما، وقد دلت الوقائع على نجاح كبير في استخدام قوتهما معاً في مواجهة الضغوط التي فرضت عليهما ولا نعتقد أن من مصلحة أي منهما إضعاف هذه القوة أو التسبب في إحداث أي خلل فيها.

وهنا أنه في الوقت الذي لا تجد سورية أي مبررات لأن تذهب بمفردها لمواجهة الكيان الصهيوني أو إجراء التفاوض معه في مسعاها الدائم لاسترجاع أراضيها المحتلة دون حليفتها الأساسية إيران، فإن إيران هي الأخرى لا تجد مبرراً في مواجهة الضغوط الأمريكية والإسرائيلية والغربية التي تمارس عليها، دون حليفتها الإستراتيجية سورية التي كان لها دور مشهود في توضيح صواب الموقف الإيراني وتبديد الشكوك المصطنعة التي تسوّقها أمريكا وإسرائيل حول عسكرة برنامجها النووي وإيجاد الذرائع للعدوان عليها وتخريب منشأتها.

• وقياساً على ما تقدم نستطيع التأكيد على عدم وجود رغبة لدى أي من الطرفين في الاستغناء عن هذه العلاقة، لاسيما إذا ما أخذنا بالحسبان ميزة البراجماتية في سياساتهما وقدرتهما على صياغة علاقات جديدة مع الغرب أو غيره مع الحفاظ على علاقات قوية مع بعضهما، وهذا ما يظهر جلياً على صعيد السياسة السورية في الانفتاح الأوربي المتزايد نحوها، بالتزامن مع استمرار لقاءات ومؤشرات التنسيق والتعاون الإقليمية الهادفة إلى تعزيز جبهة المقاومة على قاعدة عدم تقديم أي تنازلات أمام الضغوط الأمريكية والأوربية و التهديدات الإسرائيلية.

عالمية الخطر الصهيوني الأمريكي:

النظرة الشعبية لإسرائيل أنها جزء من ظاهرة عالمية تريد أن تسيطر على مقدرات العالم، وهذه النظرة تنطلق من معاناة الإيرانيين من الصهيونية في زمن الشاه، وسيطرة الصهاينة وأمريكا على مقدّرات إيران من هنا فإن الخلاف مع الصهاينة ليس على هذا الجزء أو ذاك الجزء من أرض فلسطين ولا أيضاً على أرض فلسطين أجمعها، بل الخلاف على المخطط الصهيوني للاستعلاء على كل العالم وجرّ البشرية إلى حالة من الانحدار بحيث يمكن السيطرة عليها.

ولهذا فإن الشارع الإيراني رفض كلّ ما يسمى بمحادثات السلام جملة وتفصيلاً، وخطابه هو الخطاب الوحيد الذي يعلن أن حلّ مسألة فلسطين يكمن فقط في تحريرها من براثن الصهيونية.

ولذلك لا تجد الفئة التي تعتقد بانفصال القضية الفلسطينية عن المصالح الوطنية الإيرانية، أو التي تدعو إلى موقف إيراني يبعد عن إيران خطر هجوم إسرائيلي صدى في الشارع الإيراني، بسبب هذا الفهم لطبيعة الصهيونية.

والملفت للنظر في موقف الشارع الإيراني من أمريكا أنه ينفرد في المجموعة الإسلامية بعدم انجراف فئاته الإسلامية منذ الخمسينيات مع المشروع الأمريكي الذي استهدف تعبئة المشاعر الدينية لمواجهة الخطر الشيوعي كل الفصائل الإسلامية في إيران كانت ترفض ما يسمى بالإسلام الأمريكي الذي لا يقبل إلاّ إسلاماً يكافح الشيوعية دون أن يصطدم بالأطماع الأمريكية والغربية النظرة لأمريكا أنها وراء تثبيت نظام الشاه ووراء الغزو الصهيوني للمنطقة، ووراء محاولة إغراق الشباب في المفاسد والموبقات، من هنا كانت المجابهة الشعبية تتجه إلى مثلث أمريكا – الصهيونية – الشاه.

ولقد شهدت الساحة فيما بعد أحداث انقلاب أمريكا على حلفائها القدماء من التيارات الإسلامية بعد أن استنفدت أغراضها منهم، ثم شهدت الوقوف الأمريكي الصارخ في دعم إسرائيل حتى في أشد ظروف بطشها وإرهابها.

تسوية الصراع مع إسرائيل والعلاقات العربية – الإيرانية :

هناك محاولات تسوية للصراع العربي – الإسرائيلي وفق مخطط أمريكي – صهيوني لإقامة نظام الشرق الأوسط في دائرتنا الحضارية الإسلامية وما يتضمنه هذا المخطط يحمل في طياته تأثيرات سلبية في العلاقات العربية – الإيرانية ولكي نحيط بهذه التأثيرات السلبية ينبغي أن نستحضر مخطط النظام، وقد صدرت كتابات جادة حوله في وطننا العربي، من بينها واحد أصدره مركز دراسات الوحدة العربية.

أول هذه الأمور أن هذا النظام موجه إلى الدائرة الإسلامية مكاناً بهدف تثبيت الكيان الصهيوني فيها والتحكم من ثم في أمورها وهو وثيق الصلة بالمخطط الأمريكي لإقامة النظام العالمي الجديد الذي رفع شعاره جورج بوش إبان أزمة المنطقة، وبما يتضمنه هذا النظام من جوانب تتصل باعتبارات السوق وقد أكد ساتو الياباني، مدير عام الأبحاث في مؤسسة دولية للسلام في طوكيو، في حديثه إلى جريدة الحياة يوم ٣١ / ٥ / ١٩٩٤ بعد أن زار المنطقة وجوب التعاون بين دول المنطقة لأنك إذا نظرت إلى تاريخها تجد أن الحدود الحالية لا معنى لها، وأن العلاقات الاقتصادية بين دولها إيجابية في كل الأحوال.

ثاني هذه الأمور أن هذا النظام بعد أن يعمد إلى تصفية قضية فلسطين دون إحقاق الحقوق الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف للشعب العربي الفلسطيني، ينصب من إسرائيل قائدة للمنطقة، تتحكم في سياسات دولها من خلال التدخل في ستة موضوعات، هي أنظمة الحكم والاقتصاد والبيئة والتسلح وتوزيع الثروات والسكان.

ثالث هذه الأمور أن هذا النظام يأخذ في حسبانه الأطراف الدولية، التي سيكون لها نشاطات في المنطقة وهذا ما عدا مخطط عملية التسوية إلى أن يجعلها في مسارين مسار المباحثات الثنائية بين إسرائيل وأطراف عربية، ومسار المفاوضات المتعددة الأطراف التي يشارك فيها أكثر من ثلاثين دولة وتناقش في لجان الموضوعات الستة.

ولقد جاء انعقاد مؤتمر قمة الدار البيضاء الاقتصادي آخر شهر أكتوبر ١٩٩٤ في إطار المساعي لإقامة نظام الشرق الأوسط وكان من الملاحظ فيه أن الدعوة لم توجه إلى إيران والعراق وليبيا وهي من الدول التي تعتبرها الولايات المتحدة رافضة، كما لم تحضر المؤتمر سوريا، ولم يحضره لبنان وحين سئل شمعون بيريس عن إمكانية قيام شرق أوسط جديد في غياب هؤلاء، أجاب: إنه لا يمكن ذلك، لكنه شدد على أن إسرائيل تؤيد السياسة الأمريكية تجاه الدول الرافضة وساتو الياباني أوضح في تصريحه سالف الذكر أن الغرب واليابان ينظران باهتمام إلى فرص السلام في المنطقة، لكن ما يخافونه هو أن تتزايد مشكلة إيران، في ظل التباين في وجهات النظر حول طريقة احتواء هذه الدولة وسياستها الراهنة وهذا الحديث يكشف عن مرمي الغرب والدول التابعة له من هذا النظام، كما يكشف عن كيفية تأثير تنفيذ المخطط في العلاقات العربية – الإيرانية وقد أدركت سوريا مبكراً الهدف من المفاوضات متعددة الأطراف، فقاطعتها مع لبنان والدعوة إلى مقاطعتها متزايدة في أوساط المفكرين العرب الاستراتيجيين، ومنهم أمين هويدي الذي دعا في مقال في الأهرام يوم ٣١ / ١ / ١٩٩٥ إلى مقاطعة اللجان متعددة الأطراف التي تحاول إسرائيل من خلالها نشل عوامل القدرة، من مياه وقوة بشرية ورأس مال وسوق كبيرة وطاقة، من جيب العرب.

واضح أن لعملية التسوية الجارية عند مصمميها واضعي مخطط نظام الشرق الأوسط أهدافاً استعمارية تستهدف، فيما تستهدف، تخريب العلاقات العربية – الإيرانية، لتمكن إسرائيل من النفاذ إلى المنطقة، وقوى الهيمنة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من إحكام سيطرتها عليها وقد حذرت صحيفة طهران تايمز بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الاقتصادية للدول من فتح أسواقها لإسرائيل، معتبرة أن الدور الإسرائيلي في الأسواق العربية سيخدم إسرائيل وحدها. وواضح أيضاً أن لعملية التسوية الجارية مضاعفاتها التي لم يكن بعضها في حسبان مصمميها وقد توقع حدوثها الفكر النابع من المنطقة. والمخططات الخارجية تتضمن دوماً ثغرات تؤدي إلى حدوث تناقضات عند تنفيذها، وليس هذا غريباً وواضعوها هم من خارج المنطقة، لا يفهمونها حق الفهم ويريدون بها شراً، وما أكثر ما اعترف أولئك المخططون بهذه الحقيقة بعد فوات الأوان ومثال على ذلك، وصف انتوني ليك، في مقاله في فورين افيرز، الاستراتيجيات الأمريكية تجاه إيران والعراق مرتين خلال السبعينيات، ثم الثمانينيات، بأنها كانت مدمرة.

وقد كرر ذلك الوصف مارتن انديك في مجلس الشيوخ في فبراير ١٩٩٤ ومعلوم كم عانت دائرتنا جراء هذه الاستراتيجيات المدمرة وانسياق البعض منا إلى الوقوع في شباك تفجير التناقضات بيننا وحين نستحضر تداعيات عملية التسوية ومضاعفاتها، نجد من بينها تصاعد الإرهاب الرسمي الإسرائيلي وازدياد الأطماع التوسعية التي تتطلع في هذه المرحلة إلى الهيمنة الاقتصادية لما أسماه بعض مفكرينا العرب بـ إسرائيل العظمى في المخيلة الصهيونية، تماماً كما نجد تصاعد المقاومة وصلابة عودها وارتقاء عملياتها النوعية، بفعل روح الإيمان الفياضة التي اتسمت بها وتجسدت في جنوب لبنان وفلسطين ونجد تعثر عملية التسوية على كل المسارات، سواء تلك التي استطاعت قوى الهيمنة الدولية فرض اتفاقات مملاة على أطراف عربية فيها، أو التي لم تستطع ولقد توقع بعضهم في الغرب هذا التعثر مبكراً، ومنهم ميشيل جوبير الذي قال في دراسة له ربما تتوافر الفرص لتسوية عرجاء بين الإسرائيليين والفلسطينيين، تحرم المزايدات في الدول العربية من ميدانها المفضل، لكن يمكن للمرء أن يراهن بأنه إذا ما قام هذا الهدوء المقلقل، فإن المنازعات بين العرب ستستأنف بقوة أكثر فأكثر، مما يبرر ويسهل في آن واحد الوجود الأمريكي وما يصدق على العرب في ما بينهم يصدق على العلاقات العربية – الإيرانية بين بعض الدول العربية وإيران، حين يحدث الانسياق إلى تضخيم التناقضات الثانوية وتناسي التناقض الرئيسي مع العدو الخارجي الذي يتربص بها جميعاً.

لقد أدى زلزال المنطقة في مطلع عام ١٩٩١ إلى أن يزداد الوجود الأجنبي في المنطقة بفعل تضخيم التناقضات الثانوية؛ وواضح أن قوى الهيمنة الدولية تتابع استغلال عملية التسوية الجارية للحفاظ على وجودها المكثف فيه، بغية نهب ما يمكن نهبه من ثورات المنطقة النفطية، ويعمد هذا النهب إلى وسائل عدة، منها بخس أسعار النفط الخام، ومنها أيضا استنزاف ثروات الأقطار المصدرة للنفط بشراء السلاح وواضح أيضاً أن قوى الهيمنة الدولية تستغل عملية التسوية الجارية، فضلاً عن إفساد العلاقات العربية – الإيرانية، في الانفراد بالدول التي تقاوم هيمنتها في الدائرة الإسلامية دولة بعد أخرى وها نحن نراها تعمد إلى فرض اللقاء مع إسرائيل على الأطراف التي وقعت اتفاقيات سلام، كما حدث يوم ٢ / ٢ / ١٩٩٥، وتحاول إيجاد مؤسسة من هذا اللقاء.كما صرح وزير الخارجية الأمريكي، تواجه الدول التي ترفض التوقيع وقد رأينا كيف حرصت بعض هذه الأطراف على أن تعلن عن عدم قبولها ذلك، وأن تعمل على وضع اللقاء في حجم صغير وتحاول التمسك بالنظام العربي.

ولعل من أهم الظواهر التي نراها اليوم في سماء دائرتنا الإسلامية ظاهرة الاستجابة لتحدي عملية التسوية التي تحاول قوى الهيمنة فرضها علينا، ونهوض الفكر في منطقتنا بدوره في أطر هذه الاستجابة وقد كان من أهم ما طرحه هذا الفكر ضرورة العمل لإقامة نظام إقليمي نابع من الدائرة الإسلامية جمعاء وكان جمال حمدان قد تحدث في كتابه استراتيجية الاستعمار والتحرير عن مثلث القوة الاقليمي الذي يضم في نطاق هذه الدائرة تركيا وإيران ومصر وقد تبنى محمد السيد سليم هذا المصطلح في بحثه في شئون الأوسط ونجد في إيران حديثاً عن شرق أوسط ثقافي ثوري جديد يرتكز على الانتماء للإسلام ويضم الشعوب الإسلامية من آسيا الوسطى إلى شمال افريقيا في إطار مفهوم ثوري يقترب من المفهوم الإيراني للعلاقات الدولية كما يقول إبراهيم عرفات.

الصهيونية تصور إيران على أنها العدو الأوحد للعرب:

لا يوجد في واقع العرب والمسلمين اليوم أوضح من أن إسرائيل هي العدو، وأن أميركا هي السند والمدد لذلك العدو وأن إيران وغيرها من الدول المسلمة المحيطة بالعالم العربي ليست عدوا، مهما اختلف العرب معها في المصالح الظرفية أو المشارب المذهبية. لكن بعض القادة العرب المتعلقين بأميركا تعلقا وثنيا مصرون على تصوير إيران على أنها الخطر الأساس على المنطقة العربية، يسعفهم في ذلك ميراث من الصور النمطية السلبية التي يحملها كل من العرب والفرس عن بعضهم البعض، وفقر مدقع في الوعي السياسي لدى قطاعات واسعة من الشعوب العربية، وتحريض من الإسرائيليين المتمرسين بمهنة الإيقاع والدعاية.

وقد صرح نتنياهو في زيارته الأخيرة لواشنطن أمام تجمع اللوبي الصهيوني الأميركي المعروف بأيباك قائلا أستطيع أن أقول لأول مرة في حياتي إن العرب والإسرائيليين يرون اليوم عدوهم المشترك يقصد إيران وزاد إيليوت أبرام الأمر تحديدا وتحريضا فكتب مؤخرا في صحيفة وول ستريت جورنال يوجد صراع خطير اليوم في الشرق الأوسط، لكنه ليس بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وإنما هو صراع المتحالفين معنا ومن ضمنهم مصر والسعودية والسلطة الفلسطينية وإسرائيل والإمارات العربية المتحدة، ضد إيران وقطر وسوريا وحزب الله والجماعات الفلسطينية الإقصائية.

الضرورات والمشكلات:

العلاقات العربية – الإيرانية هي واحدة من أكثر المسائل حضوراً في حياة المنطقة، وربما في العالم، حيث يدرك كل المعنيين أن مصير هذه المنطقة يكاد يتقرر في ضوء الطريقة التي يتم فيها إدارة هذا الشأن سلباً وإيجاباً ولعل المخططين الاستراتيجيين في واشنطن وتل أبيب هم الأكثر إدراكاً لهذه الحقيقة، وهم الأكثر تصميماً على إدارة هذه العلاقات على نحو سلبي، وعلى استنفار كل الطاقات والإمكانات، واستنفار كل الجهود السياسية والأمنية والثقافية،وإثارة كل النعرات والعصبيات القومية والطائفية والمذهبية على ضفتي العلاقة بهدف منع تطور هذه العلاقات بالاتجاه السليم أولاً، ثم دفعها إلى مهاوي الانهيار والتوتر والاحتراب ثانياً.

فالمخططون الاستراتيجيون في واشنطن وتل أبيب ، يدركون تماماً ان نجاح العرب في إقامة علاقات تعاون وتكامل وتفاعل مع أبناء دائرتهم الحضارية لاسيما في إيران وتركيا، هو من أقصر الطرق إلى نيل استقلالهم الكامل، والى انجازهم سلامهم الداخلي العميق، وإلى تحقيق مشروعهم الحضاري ، فيما فشلهم في ذلك يقود إلى أخطر أنواع التدمير الذاتي ونظرة المخطط الصهيو – أمريكي إلى هذه القضية لا تنفصل بالتأكيد عن نظرته الشاملة الى كامل قضايا المنطقة ، تماما مثلما تشكل إعاقة هذا المخطط للعلاقة العربية – الإيرانية، بنداً من بنود المشروع الصهيو أمريكي الشامل، الذي تتغير أسماؤه بين عقد وآخر لكن مضمونه واحد أبداً، إذ يهدف إلى تحقيق أمرين معاً أولهما الهيمنة الصهيو – أمريكية الكاملة على المنطقة وثانيهما التفتيت المستمر لكيانات المنطقة والتدمير الكامل لمكوناتها الثقافية والعقائدية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية، أي تكريس الهيمنة من خلال التفتيت وتعميم التفتيت عبر توسيع نطاق الهيمنة.

ولن نكرر هنا ما بات معروفاً حول مشاريع تمزيق المنطقة وإطلاق مخططات التقسيم والفيدرالية التي يجري الترويج لها من العراق إلى السودان، مروراً بلبنان وهو البلد الذي لا تغيب عنه هذه المخططات مرة إلاّ وتعود لتطل مرة جديدة وصولا إلى إقامة كيانات انفصالية عديدة في المنطقة بات حكامها يدركون تماما الخرائط الجديدة للدويلات المرشحة للانبثاق عن دولهم الحالية.

كذلك لن نستعيد اليوم المقولات التي بشّر بها برنارد لويس منذ أوائل الأربعينات،وهو المفكر البريطاني الصهيوني صاحب الحظوة المميّزة لدى أصحاب القرار في واشنطن ولندن وبعض عواصم الغرب، والتي ترى إعادة تقسيم الشرق الأوسط الذي بدأ مع الاتفاقية البريطانية – الفرنسية: سايكس – بيكو بعد الحرب العالمية الاولى، بمشروع التفتيت الصهيو – امريكي باعتباره الضمان الدائم للحضور التخريبي في المنطقة، وللوجود الصهيوني الاستيطاني الاحتلالي في فلسطين.

في هذا المخطط التفتيتي العام، تشكل العلاقة العربية – الإيرانية بكل أشكالها، أحد الإغراءات الكبرى لجذب هذا المخطط، لأن تفاهماً عربياً – إيرانياً حقيقياً وعميقاً مبنياً على قواعد الاحترام المتبادل، والتعاون الصادق، والتكافؤ الدقيق، يشكل رافعة رئيسية لنهوض الطرفين، ويعزز عوامل القوة لديهما، فيما يقود التنافر العربي – الإيراني إلى إطلاق سلسلة من التداعيات المدّمرة ليس على صعيد العرب وإيران فحسب، بل على مستوى الدائرة الحضارية الإسلامية بأسرها، ناهيك بأثرها على مستوى العالم كله.

وكلنا يذكر ما فعلته الحرب العراقية – الإيرانية التي رفضنا كعرب اندلاعها منذ اللحظة الأولى، ورفضنا بعد ذلك استمرارها ، ورأينا فيها فخاً استعمارياً وصهيونياً وقعنا فيه جميعاً، فخاً ما زالت تداعياته مستمرة حتى الآن من اجل تدمير اثنين من أقوى دول المنطقة وأهمها العراق وإيران، بعد ان نجح الفخ ذاته في إخراج مصر – الدولة القوية الكبرى- من حلبة الصراع مع العدو الصهيوني من خلال معاهدة كامب ديفيد وإذا كانت التهديدات اليومية الصهيو – أمريكية ضد إيران تذكرنا بتلك التهديدات التي مهدت لغزو العراق بعد حصار استمر ١٣ عاماً.

ان أولوية ضرب العلاقات العربية – الإيرانية في المخطط الصهيو – أمريكي اذن لا تعود فقط الى حرمان العرب من عمق استراتيجي وشريك حضاري كإيران فحسب، ولا إلى محاصرة إيران بسور من الكراهية يحرمها من تحقيق مشروع نهضتها ومن وزنها الاقليمي فقط، بل هو أيضاً مرتبط بمسألتين بالغتي الأهمية:

المسألة الأولى: إن في العلاقة بين العرب والإيرانيين من وحدة العقيدة، ومن أواصر الكفاح المشترك، ومن مكانة مميزة لقضية فلسطين عموماً، وللقدس خصوصاً، ما يجعل من التلاقي العربي – الإيراني مسألة جدية من جهة، وخطيرة من جهة أخرى على مجمل المشروع الصهيو – أمريكي في المنطقة.

المسألة الثانية: إن في هذه العلاقة ثغرات ومشكلات والتباسات متعددة يمكن اللعب بها، والعزف على أوتارها، بما يحول هذه العلاقة من مسارها الايجابي لتتجه باتجاهات سلبية.

وبقدر ما تقتضي مصلحة العرب والإيرانيين العمل بكل جهد لتطوير ما هو ايجابي في هذه العلاقة، تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً انطلاقاً من القيمة الاستراتيجية الكبرى لهذه العلاقة، فان مصلحة الطرفين أيضاً تقتضي معالجة جريئة وصريحة وصادقة لكل المعوقات والمشكلات القائمة في وجه هذه العلاقة، والتي يسعى أصحاب المخطط الصهيو – أمريكي إلى تغذيتها وتعميقها مستفيدين من ثغرات وجهات وحساسيات قائمة على ضفتي هذه العلاقة.

ففي المسألة الأولى يمكن أن نستعيد معاً صوراً مشرقة ومضيئة للعلاقة العربية – الإيرانية لا تكتفي بما نراه في الحاضر من مواقف إيرانية داعمة للمقاومة في فلسطين ولبنان، وللممانعة في سوريا، ولا بتلك الصورة المحفورة في وجدان كل عربي يوم انتصار الثورة في إيران في١٩٧٩ حين كان أول أعمالها طرد السفارة الإسرائيلية من طهران – الشريكة الرئيسية لنظام الشاه على امتداد سنوات، والمحّرض الرئيسي له ضد العرب لاسيما جمال عبد الناصر ، بل ان هناك صور من التاريخ ينبغي استعادتها دائماً.

ولقد لاحظ الأستاذ أحمد لواساني رئيس منبر الآداب الشرقية في الجامعة اللبنانية في ندوة العلاقات العربية – الإيرانية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع جامعة قطر عام ١٩٩٦، كيف ان الإسلام قد انحسر عن الأندلس بعد سقوط الدولة العربية، فيما لم ينحسر عن بلاد فارس رغم عراقتها الحضارية وخصوصياتها القومية، مما يشير، سب قول لواساني، إلى وجود قرب وانسجام باللاوعي بين روح الأمتين العربية والإيرانية نفتقده بين العرب وشعب أيبيريا في الأندلس .

وفي الإطار ذاته لاحظ لواساني أن جنود كسرى – قبل الإسلام- نزلوا أرض اليمن وطردوا الأحباش منها وأعادوا إليها ملكها العربي سيف بن ذي يزن، وسكنوا فيها وأطلق عليهم اسم الأبناء وقد كانوا في طليعة الذين دافعوا عن الإسلام في فترة حروب الردة. وليس دور الإيرانيين في الذود عن بيت المقدس إبان الحروب الصليبية الاّ الشاهد على عمق الترابط المصيري والنضالي بين أمتين، وسيبقى اسم الشاعر الفارسي الكبير سعدي ابن مدينة شيراز عاصمة مقاطعة فارس الذي سقط أسيراً بيد الصليبيين في طرابلس الشام رمزاً لهذه المشاركة الإيرانية في الدفاع عن عروبة المنطقة وعقيدتها ومقدساتها بوجه الهجمة الأجنبية.

هذه المخاطر الاستراتيجية والأمنية المشتركة لكل من إيران والعرب تشكل عنصراً آخر من العناصر الموجبة للتعاون العربي – الإيراني في إطار الدفاع عن السيادة كما عن المصالح الثابتة للطرفين. بالإضافة إلى الروابط الروحية والتحديات الاستراتيجية المتصلة بالأمن القومي بمعناه الشامل هناك مسألة أخرى تؤكد على أهمية تطوير العلاقات العربية – الإيرانية بهدف صيانتها، أي مسألة النفط، حيث التعاون العربي – الإيراني بات احد ابرز العناصر التي تهدد الهيمنة الأمريكية على هذا القطاع الحيوي الذي تمسك منطقتنا العربية والإسلامية الجزء الرئيسي من إنتاجه واحتياطه.

فالخوف الصهيو – أمريكي من كفاح عربي – إيراني مشترك ضد المشروع الصهيوني، ومن تعاون نفطي بين الطرفين يؤدي الى زعزعة الهيمنة الأمريكية على هذا القطاع، يشكلان دافعاً كبيراً لتركيز هذا المخطط الصهيو – أمريكي على إعاقة العلاقة الأمريكية العربية، بل تشجيعه الدائم لجهات على ضفتي العلاقة من أجل تسعير الخلافات، وإثارة كل أنواع النعرات، حتى بات احد وسائل التقّرب من واشنطن والغرب هو أن تقوم جهة عربية بالتحريض على إيران وجهة إيرانية بالتحريض على العرب.

أما المسألة الثانية، أو ما يمكن تسميته بالوجه الآخر من العلاقة فهو وجود جملة التباسات وحساسيات وثغرات في هذه العلاقة تسهل على أصحاب المخطط الصهيو – أمريكي مهمتهم، بل وتغريهم على المضي في خطتهم لإعاقة هذه العلاقة، بل للسعي إلى تغيير طبيعتها من علاقة تعاون وتكامل وتفاعل إلى علاقة تنافر وتناحر.

هنا، علينا ان نعترف كعرب وكإيرانيين إن هذا المخطط الصهيو – أمريكي،على قوته وخطورته وإلحاحه، لا يستطيع أن يحقق أهدافه إلا إذا فتحنا له الثغرات كي ينفذ منها، وان طريق إغلاق الثغرات هو مسئولية عربية وإيرانية، بل إيرانية بالدرجة الأولى لأن إيران هي دولة واحدة رغم تعدد التيارات فيها، وقرار واحد رغم تباين الاتجاهات، ومرجع واحد رغم تنوع الاجتهادات، ومشروع واحد، بل إنها اليوم في مواجهة استهداف خطير لها كدولة وكثورة وككيان، الأمر الذي يحتم عليها ان تعتمد نهج تجميع القوى، وتوسيع الأفق، ومد اليد إلى الجميع وتجاوز الكثير من الحساسيات.

أما العرب، فهم أنظمة في اغلبها متناقضة مع طموحات شعوبها، أنظمة مستقوية بواشنطن وغير واشنطن على هذه الشعوب مقابل إذعان كامل أو شبه كامل لمشيئة البيت الأبيض، وهذه الأنظمة أيضاً ممنوعة من التلاقي، إلا من خلال واشنطن، رغم التقارب في نهج معظمها، أما الشعوب فمقهورة، مغلوبة على أمرها، مقيّدة بسلاسل حكامها الحديدية، وغارقة في عصبيات متناحرة، وفساد مستحكم، واستبداد مقيم، وهي إذا نجحت في الإفلات يوماً من تلك القيود والسلاسل لتطلق مقاومات ضد أعدائها، كما هي حال المقاومة في فلسطين والعراق ولبنان، فانها سرعان ما تجد نفسها محاصرة بلقمة العيش والاقتتال كما في فلسطين، وبالفتنة والإرهاب المتنوع الأشكال كما في العراق، وبالرهانات الخائبة والخوف من الانتصار كما في لبنان.

لذلك كله فان العلاقة العربية – الإيرانية لن تستقيم وتتطور وتتعزز، إلا إذا سعينا جميعاً إلى إرساء قاعدتين رئيسيتين لهذه العلاقة خصوصاً أن علاقة الجوار التي تحكم العرب وإيران هي علاقة لا يمكن لأي طرف أن يلغيها، أو يتجاهلها، أو يتنكر لها، أن هاتين القاعدتين هما:

أولاً: فهم إيراني كامل لخصوصيات الواقع العربي بكل تعقيداته، ولاحترام مكوناته القومية والدينية والاجتماعية المتعددة، والتسليم بقدرة الأمة العربية على مواجهة مشكلات العلاقات بين دولها وجماعاتها وشرائحها دون أي تدخل خارجي وبالتالي السعي لتجاوز كل الحساسيات والرواسب والجراح التي ما زالت تتحكم بهذه العلاقة.

ثانياً: إدراك عربي صادق للبعد الاستراتيجي والحضاري للعلاقة مع إيران، للقوة الكبيرة التي يوفرها تفاهم عربي – إيراني على كل المستويات السياسية والاقتصادية والأمنية والدفاعية والثقافية والاجتماعية وبالتالي نبذ كل الدعوات الأمريكية والصهيونية للإيقاع بين العرب وإيران بمسميات مختلفة إن التسليم بهاتين القاعدتين يشكل اليوم مدخلاً لكل المشكلات والالتباسات القائمة، خصوصاً ـن بين هذه المشكلات تداخلاً وتشابكاً، حيث يؤدي بقاؤها إلى تغذيتها وتعميقها، فيما تؤدي معالجة الواحدة منها إلى معالجة بقية المشكلات .

الأوهام والحقائق في العلاقات العربية الإيرانية:

هناك الكثير من الأوهام والحقائق المؤثرة في العلاقات العربية الإيرانية، من المهم تجليتها قبل الدخول في كثير من تفاصيلها، ويجري في كثير من الأحيان الإصرار على بقاء هذه القضايا ملتهبة ومختلطة، ومن أهمها أوهام أن العلاقات العربية-الإيرانية خلافات سياسية ومحلية وتاريخية وعقائدية وصرف النظر عن حقائق لاعبين آخرين بهذه العلاقات وإغراق مستمر في الأوهام المحيطة بهذه العلاقات. ومن أهم هذه الأوهام أن يزعم المرء أنه يناقش سياسة لحكومة عربية مستقلة تجاه قضية كبيرة كهذه، ليس لأن طبيعة السياسة تعلقها بالطرف الآخر الخارجي المعادل أو الراجح في الكفة المضادة، كما هي طبيعة المناقشات السياسية ودراستها، ولكن لأنه يصعب رؤية وتحديد هذه السياسات لأن غالب التأثير فيها في مكان آخر خارج المكان المتحدث عنه أو مرتبط بطرف ثالث في العلاقة، قد يكون هو المؤثر الرئيس في العلاقة.

ثم إن ذلك يصبح أصعب على مراقب عربي ليس جزءا من حكومة أن يتحدث عن سياسة البلاد العربية في أي قضية، لأنه سيتحدث عن سياسات ينتقدها، ليس لخللها أو فسادها فقط، ولكن لأنه لا يراها معبرة بأي طريقة عن بلاده ولا عن قضايا سكان المنطقة وأحيانا لا تعبر عن حكامها أنفسهم إلى حد كبير، ولأن رؤية وتصور شعوب المنطقة ومثقفيها غير موجودة في الواقع السياسي ولا مستوعبة في سياق من السياقات إلا في مجال الجهد لتغييب مصالح الناس واشغالهم بمعارك ليست لهم. ولهذا يصعب القول بأن حكومات هذه البلدان تعبر عن قضايا المنطقة وتصوراتها ومصالحها.

ومن المهم التعرف على عدد من أهم المؤثرات في هذه العلاقة، منها :-

أولاً:-المؤثرات الداخلية في المنطقة:

- آثار تلك اللحظة الثورية في إيران، وما تصنعه الثورات دائما بالشعوب الثائرة من ثقة وعزيمة ورغبة في التوسع، وتحول في اتساع رغبة الثوار أو طبيعة الثورات في ضرورة المواجهات مع الخارج بعد حسم المواجهات الداخلية، فكان لا بد من وجود مكان لتنفيس الانفجار الثوري البدني والثقافي في مكان ما، وكان العراق أولا، وكذا صعود القضايا المذهبية، وكان يوم القدس وكان الطمع في سحب الملفات والقضايا العربية وتحويلها إلى ملفات إسلامية إيرانية شيعية وهذه قضايا مفهومة لدى دارسي قوانين الثورات إن كان لها فعلا هذه القوانين كما يرى برنتن في تحليله للثورات.
- الرصيد التاريخي لأمتين جارتين لم يصفُ الجو بينهما دائما، ولم يعد الدين قادرا على جمعهما بل تم استخدام الجغرافيا والتاريخ واللغة والمذهب والثروة والعلاقات الخارجية لإيقاد المزيد من الخلافات.
- الوهن المزمن في الحكومات العربية القريبة وعدم وجود مبادرات ذاتية لاجتثاث نوازع العداء، من خلال حكومات قوية وموثوق بها وذات مصالح ذاتية تدافع عنها وتستطيع توضيحها للعالم، وهذا من مظاهر غياب الحياة السياسية تقريبا في العالم العربي.
- انشغال إيران بالقيم العقائدية والخطاب الثوري عن التوجه لصياغة مواقف عملية، فشعارات مواجهة الاستكبار والعداء للغرب جعل اللجوء للواقعية والتعامل العقلاني صعبة المنال، ومتهمة في الداخل الإيراني.
- التوجه الإيراني وموقفه من الحكومات العربية فهو مبني على أن هذه النظم الموجودة تمثل النظام القديم الشاه الذي ولدت الثورة على أنقاضه، فيراها أنظمة غربية بواجهات محلية، مفروضة على الناس وليست منطلقة لا منهم ولا من ثقافاتهم ولا من حاجاتهم.
- ورثت الثورة من النظام القديم للشاه -وربما مما قبله- نزعة الكراهية العنصرية التي يثيرها مرة آداب ونصوص قديمة، وتثيرها نزعات قومية مليئة بالعنصرية، وتراث الفرق الدينية وميراث التنافر التركي الصفوي الذي كانت العراق غالبا ميدان مواجهاته وغرب إيران عموما.

- الموقف من القضية الفلسطينية، وسواء كان موقفا لذات القضية وعقيدة راسخة أو مراعاة للتدين الشعبي، أو مجرد وسيلة ضغط وانتقام من الغرب، أو تفاوض أو توسيع لدوائر التأثير والأمن فإنه يبقى من القضايا والأسلحة المؤثرة على مختلف الأصعدة، ويوم والى الشاه الصهاينة كانت قضية خلاف مع العرب، ويوم ناصرت إيران الفلسطينيين كانت الحكومات العربية تتجه للصف الآخر فعادت القضية لتكون محطة خلاف، أو حجة لبعضه.
- السيطرة على مناطق عربية كجزر الإمارات، وابقاء التهاون في حل تلك المشكلات، بل وربما البحث عن المزيد من ممتلكات جديدة في أماكن أخرى في العراق.

ثانيا: المؤثرات الخارجية:

- الاحتلال الغربي لثروات وسياسة المنطقة، وقد أصبحت أمريكا تفاوض الصين على نفط الخليج والعراق في المحادثات الأخيرة للضغط على الصين حتى تقبل العقوبات على إيران، وتبني حكومات عربية للموقف الأمريكي من الصين، وتعويض ما ينقص من نفط إيران بسبب الحصار وقد أصبح النفط في المنطقة تقريبا ملكا لأمريكا وتحت هيمنتها بلا شريك.
- المصالح المشتركة الأمريكية الإيرانية في أفغانستان والعراق، وتعقيدات تدبير الصراع الدائم حولها.
- الموقع المؤثر المشترك للعرب والإيرانيين من تجارة العالم، إذ يعبر عبر مضيق هرمز ٤٠% من نفط العالم يوميا، وموقع قلب العالم حضاريا وتجاريا، ففي هذه المنطقة طريق الحرير و كذا في هرمز.
- الوجود الإسرائيلي، وهو عامل مهم بالتعاون مع الغرب في صرف الاهتمام من شروره العظمى إلى توجيه الاتهام والخوف إلى إيران، وتحسين الوجه العنصري والاحتلالي لإسرائيل، فهي قضية أساسية أن تجد الشعوب والحكومات العربية نفسها مشغولة بإيران على الحدود، وصامتة عما يحدث داخلها.
- وهناك التحريض الموقد للخلافات دائما، وهنا نموذج صادر من قبل أحد الدبلوماسيين البارزين، نشر بالانجليزية وبالعربية في مجلة شهيرة ولعله نشر بالفارسية أيضا وهو يحرض بفجاجة الطرفين كلا على الآخر من قبيل النقل عن العرب أنهم يرون أو يشبهون الإيرانيين بالأفاعي والكاذبين، والمهرطقين.

ويزعم أن العرب يتذمرون من سؤال يسأله الإيرانيون دوما بقولهم: سيدي هل أنت مسلم أم سني؟ ثم ينتقل فيسب العرب على ألسنة الإيرانيين بأنهم بدو قوضوا حضارتهم الفارسية، ولغتهم حينا من الدهر، يتساءل لماذا يتباكى الإيرانيون على قضية عربية؟ ولماذا يوم القدس يكون في إيران، أليس لإبعاد الحكومات العربية عن شعوبها، وإثارة المقموعين ضد القامعين، وإعادة إثارة الثورة الإيرانية في المناطق المجاورة، وتخويف من إيران التي ستستمر وتسير على شرعة إزالة الملوك كما حدث في إيران ١٩٧٩، ومن قبل العراق ١٩٥٩ واليمن ١٩٦٢ ، وليبيا ١٩٦٩، وأثيوبيا ١٩٧٤، وأفغانستان ١٩٧٣وهكذا يثير المقال نفسه قضايا الغزوات منذ ما قبل الإسلام والفتح الإسلامي، وقضايا اختلاف اللغتين والتنافس عليهما، ومقولات إيرانية تسخر من العرب يراها خالدة.

التعاون الإيراني الإسرائيلي لتدمير العراق:

إن ما ينفذ في العراق ما هو الا تطبيق لنبوءات او تعليمات موضوعة في الكتاب المقدس الذي يتحدث عن دمار بابل وانتقام الرب من شعبها تلك النبوءات هي المحرك للعقلية المسيحية المحافظة التي حكمت البيت الأبيض وقد تم تشخيص العديد من الإشارات الدينية في خطابات بوش تثبت تعامله في قضيتي العراق وأفغانستان من وجهة نظر توراتية محافظة، فحين تحدث مثلا عن محور الشر (العراق وأفغانستان) كان في الحقيقة يقتبس تعبيرا ورد في التوراة لتحطيم هذا المحور انتقاما لبني إسرائيل ومعظم مصطلحاته وردت في التوراة والإنجيل، مثل الصدمة، والرعب، وما قاله الرئيس الأميركي عن المعركة برمتها» نها معركة الرأس، وغير ذلك من الإشارات الأخرى، إنما أخذت من الكتاب المقدس فمقولة إن ما يجري فوق أرض العراق أنها معركة رأس، تفسيرها: ان ملك بابل المعاصر صدام يشبّه نفسه دائما بنبوخذ نصر الذي ورد ذكره بالتوراة بالرأس، وهو رأس من ذهب، كما جاء في الإصحاح الثامن سفر دانيال الذي يصف رؤيا لنبوخذ نصر في منامه حين رأى تمثالا عظيما هائلا كثير البهاء وكانَ رأسُهُ مِنْ ذهَب خالص وصَدْرُهُ وذِراعاهُ مِنْ فِضَّة، وبَطنُهُ وفَخذاهُ مِنْ نُحاس، وساقاهُ مِنْ حديد وقَدَماهُ بعضُهُما مِنْ حديد والبعضُ مِنْ خزَف،الى نهاية الحلم وقد طلب من النبي دانيال تفسير هذه الرؤيا فاخبره فأنتَ الرَّأسُ الذي مِنْ ذهَب وبَعدَكَ تقومُ مَملَكَةٌ أُخرى أصغَرُ مِنْ مَملَكَتِكَ

ثُمَ مَملَكَةٌ ثالِثَةٌ سِلاحُها مِنْ نُحاس تَتَسَلَّطُ على كُلِّ الأرضِ رابِعَةٌ يكونُ سِلاحُها صَلْبًا كالحديدِ، لِأَنَّ الحديدَ يَسحَقُ ويَطحَنُ كُلَ شيءٍ ونتيجة لهذا صنَعَ المَلِكُ نَبوخذنَصَّرُ تِمثالاً مِنْ ذهَب، طُولُه سِتُّونَ ذِراعًا وعَرضُه سِتُّ أذرُع، وأقامَه في بُقعَةِ دُورا بِإقليمِ بابِل. ولربما والله اعلم أن التمثال المذكور هو جبل الذهب الذي اخبرنا عنه رسول الله محمد يوشك الفرات يحسر عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا وما قاله آري فلايشر المتحدث باسم البيت الابيض: على صدام حسين الذي يشبه نفسه بنبوخذ نصر، ان يقرأ ما كتب على الحائط ويرحل من ارض العراق، لأنه في تلك الليلة تم اغتيال الملك بيلشاصر ملك بابل على يد ملك الماديين أي الفرس، وبيلشاصر هذا ابن الملك نبوخذ نصر الذي قضى على ملك اليهود بعد ان سجنهم في بابل وان ما كتب على الحائط جاء في سفر دانيال: إن الملك بيلشاصر أقام حفلا دعا إليه ألفا من عظمائه من الرجال والنساء، وأمر بإحضار آنية الذهب والفضة، التي استولى عليها أبوه من هيكل سليمان بأورشليم، وشربوا فيها الخمر وفي لحظة ابتهاجهم، ظهرت يد إنسان على الحائط، وكتبت ثلاث كلمات غامضة المعنى، وهي: ١ ـ منا ٢ ـ تقيل ٣ ـ فرسين فذهل الملك بيلشاصر عندما رأى هذه الكلمات، وطلب من منجميه فك رموزها، فلم يتمكنوا.

فأشار إليه أمه إلى أن يلجأ إلى النبي دانيال، الذي كان سجينا في بابل، وفسر له الكلمات بالتالي: منا تعني إن الله قد أحصى أيام مملكتك، ووضع لها حدا تقيل هي انك وضعت في الميزان ولم يعد لك وزن. فرسين تفسيرها ان مملكتك قد قسمت، وتم تسليمها إلى الفرس والماديين ويرد ذكر أواني الذهب التي أحضرت إلى بابل كغنائم مع اليهود المسبيين عدة مرات في نصوص التوراة ففي سفر ارميا الفصل رقم ٢٧يخاطب الرب بني صهيون يدعوهم إلى الخضوع لملك بابل لان في هذا خلاصهم ومصلحتهم في وقتها وان ينتظروا الوقت واليوم الذي سيصيب بابل غضب الرب ويمكنهم منها، عند ذاك يستردون كنوزهم -ستُؤخَذُ إلى بابِلَ وتكونُ هُناكَ إلى يومِ أُعاقِبُ بابِلَ فأستَرِدُّها في ذلِكَ الوقتِ وأُعيدُها إلى هذا المَوضِعِ ربما هذا تفسير لأعمال النبش والتخريب التي أحدثها الاحتلال في بابل التي لم يسمح لأحد بدخولها ومعرفة ما يرتكبونه سواهم،لعلها كانت للبحث عن تلك الكنوز ,نعيد استذكار تصريحات مستشار الأمن القومي الأميركي ستيفن هادلي بقوله إن بقاء قوات الاحتلال يخدم إسرائيل وانسحابها يهدد أمنها وعدم انسحابها بشرى لإسرائيل

ويشير بيتر ليفيندا في مقالته تفكيك العراق ان صدام حسين كان قد عزز تاريخ بابل وأعاد إحيائه كمحاولة لجعل العراقيين فخورين بتراثهم القديم، مع إدراكه أن العداء الأمريكي للعراق هو محاولة لمنع نهوض بابل جديدة، محاولة مدعومة من التحالف الأمريكي مع إسرائيل، فان إسرائيل –التي بانتظار أن يكتمل بناء هيكل سليمان وظهور المسيح- لا ترغب فى رؤية إعادة اعمار مماثلة في مدينة بابل، عدوها التوراتي ،لقد حرص بوش على جمع تأييد لحملته العسكرية على العراق واعتبر عدم تأييده ومساندته فيها حربا على أمريكا، وعبر عن ذلك أكثر من مرة بعبارته الشهيرة من ليس معنا فهو ضدنا

.

واعتمدت الإدارة الأمريكية على توظيف نصوص الكتاب المقدس للتأكيد على أن العراق هو بابل العظمى التى سوف تدمر نهائيا لتبرير الحرب على العراق واحتلاله الذي جاء تطبيقا لتلك النصوص التي يؤمن بها بوش وإدارته قولا وفعلا لخدمه المصالح الإسرائيلية ومن حيث صحة تلك النصوص او تحريفها فالحديث يطول، ومن المعروف أن أجزاء كبيرة من التوراة أعيدت صياغتها بعد عودة اليهود من الأسر البابلي وسرعان ما ظهرت في طبعة منقحة تضمنت الكثير من فقرات التحريض والتهديد ضد أرض الرافدين والكثير من النصائح والإرشادات حول كيفية إثارة الفتن بين أهلها.

كثيرة هي النصوص التي توعدت بابل بالدمار ويصف هذا النص مدى الرعب الذي سيحل في نفوس اهل بابل جراء غضب الرب الذي انزله عليهم وهو ما حاولت تطبيقه قوات الاحتلال فعلا، كالصدمة والرعب. وتم معاملة الشعب العراقي بمنتهى القسوة وعمليات التعذيب والاذلال خلال استجواب الرجال والنساء وحتى الاطفال في مواقف عدة من ضمنها فضيحة ابو غريب والتي كشفت لنا انها تمت بدفع من الادارة الامريكية وبعلم ودعم من بوش ورامسفيلد شخصيا.

اضافة الى عدة حالات تم تسجيلها من اجبار السجناء على شرب الخمر واكل لحم الخنزير وترديد عبارات من الكتاب المقدس ففي سفر إرميا فصل رقم ٥١ : ٤٠ قالَ الرّبُّ: أُخاصِمُ معَكِ وأنتَقِمُ لَكِ، فأُجفِّفُ نَهرَ بابِلَ وأُنَشِّفُ يَنابيعَها، وتَصيرُ بابِلُ رُجمًا ومأوى لِبناتِ آوى، ومَثارَ رُعْبٍ وصفيرَ هُزءٍ لا يَسكُنُها أحدٌ

ويتحدث سفر إرميا في الفصل رقم ٥٠- دمار بابل ورجوع بني إسرائيل- عن انتقام الرب من بابل و تسليطه عليها عقابا يذهل العالم ومِنْ غَيظِ الرّبِّ حيث لا تُسكَنُ، وتكونُ كُلُّها خرابًا وكُلُّ مَنْ يَمُرُّ ببابِلَ يُدهَشُ ويصطَفُّ رُماةَ السِّهامِ على بابِلَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ مَلِكُ أشُّورَ أوَّلُ مَنِ اَفترَسَهُم، ونبوخذنَصَّرُ مَلِكُ بابِلَ آخرُ مَنْ سحَقَ عِظامَهُم اي اليهود فيعاقِبُ الرب مَلِكَ بابِلَ وأرضَهُ ونجدهم ينفذون تلك النبوءات باعتقادهم بانه سيكون هناك دور للإيرانيين الميديين -بنو مادي في تحقيق حلمهم بتدمير بابل من خلال تمكينهم منهم وتسليطهم عليهم كما في نصوص عديدة مثل سفر إشعيا فصل رقم ٢١سقوط بابل:(وحيٌ على بابلَ: كالزَّوابعِ تَجتاحُ الصَّحراءَ يجيءُ الخرابُ مِنْ أرضٍ مُخيفة رأيتُ رُؤْيا قاسيةً النَّاهِبُ يَنهَبُ والمُدمِّرُ يُدمِّرُ إصعَدي لِلهُجومِ يا عيلامُ حاصِري المُدُنَ يا مادَايُ ضَعي حدًا لكُلِّ نُواحٍ وإشعيا فصل رقم ١٣عقاب بابل ١٧١٣) :ها أنا أُثيرُ علَيهِم بَني مادايٍ فهؤلاءِ لا يُبالونَ بالفِضَّةِ، ولا هُم يبتَهجونَ بالذَّهَبِ ما قِسيُّهُم تُمزِّقُ الفِتيانَ ولا ترحَمُ ثمرَةَ البَطنِ وعُيونُهُم لا تُشفِقُ على البنينَ فإذا بابِلُ زينَةُ الممالِكِ وفخرُ أمجادِ الكَلدانيِّينَ تصيرُ كسَدومَ وعمورَةَ عِندَما دَمَّرَهُما اللهُفلا يَسكُنُها أبدًا ساكِنٌ، ولا تُعمَرُ إلى جيلٍ فجيلٍ. وفيها لا يُخيِّمُ أعرابيٌّ ولا ترعَى هُناكَ رُعاةٌ، ٢٢تعوي في أبراجها بناتُ آوى والذِّئابُ في قُصورِها المُترَفَةِ. وقتُ بابِلَ على الأبوابِ، وأيّامُها لا تطولُ) إرميا فصل رقم ٥١) انتقام الرب من بابل : ١١سُنُّوا السِّهامَ وأملأوا الجعابَ، فالرّبُّ أثارَ رُوحَ مَلِكِ مادايَ لأنَّهُ نوى أنْ يُدَمِّرَ بابِلَ انتقامًا ويَثأرَ لِخرابِ هيكَلِه.

وتفسير النصوص الاخيرة نجدها في سفر عزرا ١: ١-١٠: ٤٤ الذي يخبرنا انه بعد تمام كلام الرب بفم نبيه ارميا نبه الرب روح كورش ملك فارس فجعله ينادي ويدعو الى ان الرب اوصاه ببناء بيتا له في اورشليم التي في يهوذا ودعا الى التبرع لبناء هذا البيت بالذهب والفضة، كما انه اعاد الى اورشليم بعض الاواني التي احضرها نبوخذ نصر الى بابل بعد سبي اليهود فقد ساعد اليهود الذين تم سبيهم الى بابل سابقا وغادروها وعادوا الى اورشليم ببناء الهيكل بمساعدة ملك فارس.

هذه القصة تفسر النصوص المذكورة، والتي تضعنا امام حقيقة ان اليهود يجدون الفرس والميديين اكثر رفقا وتعاونا من العراقيين البابليين الذين طالما ذاقوا منهم العذاب فعندما أسقط الامبراطور الفارسي كورش الثاني الدولة البابلية الكلدانية بمساعدة يهودية، وانتصر على ميديا، و مد نفوذه إلى فلسطين التي دخلت في عصر السيطرة الفارسية تمتع اليهود في منطقة القدس بنوع من الاستقلال الذاتي تحت الهيمنة الفارسية وما لبثت هذه المدة إلا أن آلت إلى الزوال بقدوم الاسكندر الأكبر ثم السلوقيون فالإغريق الذين قاموا باضطهاد اليهود إلى أن جاء الرومان وظهر المسيح عيسى ابن مريم ، ثم ثار اليهود على حكم الرومان الظالم واستطاع الرومان إخماد ثورة اليهود ودخلوا القدس بعد حصار شديد وأعملوا القتل و النهب و الحرق، و دمرو الهيكل حتى لم يبق حجر على حجر وازداد عداء الرومان لليهود بعد دخولهم النصرانية .ثم إن الفرس لما ملكوا بيت المقدس وقتلوا النصارى وهدموا الكنائس أعانهم اليهود على ذلك و كانوا أكثر قتلا و فتكاً في النصارى من الفرس. فاليهود كانوا مكروهين من جميع الشعوب التي أحاطتهم فقد عاداهم المصريون والآراميون والفلسطينيون الكنعانيون والآشوريون و البابليون والكلدانيون والإغريق ممن خلفوا الإسكندر المقدوني والروم والنصارى والأنباط ثم العرب المسلمون ولم يصادق اليهود في كل تاريخهم القديم إلا المجوس الفرس الذين حالفوهم و نصروهم. وبعيدا عن التاريخ لنستعرض الواقع، فمن جهة التعاون بين إيران وإسرائيل عن طريق امريكا،نذكر وثائق عديدة منها حين أصدرت حكومة نتنياهو امر يقضي بمنع النشر عن اي تعاون عسكري او تجاري او زراعي بين إسرائيل وإيران وهذا لتغطية فضيحة رجل الاعمال اليهودي (ناحوم منبار) المتورط فى تصدير مواد كيماوية لصنع غاز الخردل السام الى إيران ونقلا عن كتاب الموساد للعميل السابق في جهاز الاستخبارات البريطانية (ريتشارد توملينسون) : وثائق تدين جهاز الموساد لتزويده إيران بمواد كيماوية وقامت شركة كبرى تابعه لموشيه ريجف الذي يعمل خبير تسليح لدى الجيش الإسرائيلي ما بين ١٩٩٢-١٩٩٤ ببيع مواد ومعدات وخبرات فنية إلى إيران .وقد كشف عن هذا التعاون بصور وثائق تجمع بين موشيه والدكتور ماجد عباس رئيس الصواريخ والأسلحة البيولوجية بوزارة الدفاع الإيرانية وصحيفة هارتس اليهودية نقلا عن الشرق الأوسط عدد ٧١٧٠ ويجب أن لا ننسى، الحملة المضادة للإرهاب في البوسنة التي نسقت لها أمريكا مع السعودية وإيران بعملية مشابهة لعملية إيران كونترا الشهيرة ردا لجميل الأمريكان لمساعدتهم فى بيع الأسلحة لهم عن طريق إسرائيل أثناء حربهم مع العراق والمتورط فيها عدد كبير من المسئولين داخل حكومة الولايات المتحدة.

ولا يخفى على الجميع ما حققته إيران من انجازات ومنافع لا تحصى من احتلال وتدمير العراق على يد الأمريكان فهاهي إيران تمد نفوذها في العراق بشكل واضح وفاضح، فاستولت على المحافظات الجنوبية، وسلطت ميليشيات بدر الإيرانية على أبناء الشعب العراقي وتعاونها مع أمريكا من خلال حزبي الحكيم والدعوة التي يحمل قادتهما الجنسية الإيرانية والمرتبطين بشكل مباشر بإيران، للتمهيد لغزو العراق.

وبالرغم من الحملات الاعلامية والإتهامات بين الدولتين، إلا أن تلك الحملات لم تكن سوى حملات موجهة بعناية لنوع معين من المستمعين الذين يتوقعون من كلا الدولتين مثل تلك الحملات الباعثة على الإثارة، وخصوصاً استعمال ملالي طهران لعبارات مثل الشيطان الأكبر وغيرها من الشعارات.

إسرائيل والأمن القومي لإيران والعرب:

يتحدد موقع إسرائيل بالنسبة إلى الأمن القومي لكل من إيران والوطن العربي تبعاً لحقيقة كونها دولة استعمار استيطاني بالأصالة والوكالة لحساب الصهيونية العالمية والاستعمار العالمي على حد تعبير جمال حمدان فإيران والوطن العربي يقعان ضمن الدائرة الإسلامية وينتميان إلى الحضارة الإسلامية وإسرائيل اغتصبت فلسطين التي تقع في موقع مهم من الدائرة الإسلامية، وهي بعد أن تكونت تجمعاً استعمارياً استيطانياً تعمل لنفسها ولقوى الهيمنة الغربية، للتحكم في المنطقة. لقد حدث في مطلع عام ١٩٩٥ أثناء كتابة هذا البحث أن تلقت وكالات الأنباء يوم ٧ / ١ / ١٩٩٥ خبر صدور تهديدات إسرائيلية بضرب مفاعلات إيران النووية وفي الفترة نفسها، نقلت هذه الوكالات تصريحات لرئيس الوزراء الإسرائيلي تهدد مصر والدول العربية وتتحدث عن حرب وجاءت هذه التهديدات لدى زيارة وزير الدفاع الأمريكي بيري إلى المنطقة وكانت إسرائيل قد دأبت في النصف الثاني من عام ١٩٩٤ على اتهام إيران بمساندة الإرهاب، واتهام دول وقوى عربية بأنها إرهابية، مرددة اتهامات أمريكية لهذه الدول والقوى وإذا ما استحضرنا ما قامت به إسرائيل من ضرب للمفاعل النووي العراقي في يونيو ١٩٨١ تنفيذاً لهدف أمريكي إسرائيلي، ندرك مدى جدية هذه التهديدات الإسرائيلية، حين تأتي تنفيذاً لسياسة أمريكية.

ويتضح لنا الخطر الذي تمثله إسرائيل للأمن القومي لكل من إيران والوطن العربي. ومن الملفت أنه على الرغم من وضوح هذا الخطر لكل من الإيرانيين والعرب على أمنهم، فإننا نجد أن إسرائيل نجحت في إقامة اتصالات ببعض دول المنطقة، سرية في غالب الأحيان، وإن بدأت تتجه إلى العلنية بعد انعقاد مؤتمر مدريد في ٣٠ / ١٠ / ١٩٩١ وقد جاءت هذه الاتصالات دوماً في ظل تفجر خلافات بين الدول الشقيقة في الوطن العربي والعالم الإسلامي على السواء واستهدفت النفخ في الصراعات الناشبة من جهة، بغية إضعاف أطرافها واستنزاف طاقاتهم، والتغلغل في المنطقة في جهة أخرى، بغية الوصول إلى دور قيادي فيها وواضح أن هذا الأمر أيضاً يتضمن في نهاية المطاف خطراً إسرائيلياً على الأمن القومي لكل من إيران والوطن العربي. وهو يكشف في الوقت نفسه عن تعقد مسألة الأمن القومي في ظل أوضاع المنطقة السائدة والخريطة السياسية لدولها التي كان للدول الاستعمارية دور بارز في رسم الحدود بينها.

إن جوهر عقدة الأمن القومي لكل من إيران والوطن العربي هو وجود خطر خارجي بالغ يهددهما معاً وكل الدائرة الحضارية الإسلامية التي تضمهما، ويبرز هذا الخطر أكثر ما يبرز على مياه المنطقة التي تقع بينهما، وتمثل إسرائيل فيه رأس الحربة بين الخطر أكثر ما يبرز على المياه التي تقع بينهما، وتمثل إسرائيل فيه رأس الحربة بين قوى الهيمنة الخارجية ثم إن هناك تناقضات بين إيران وبعض جاراتها الشقيقات العربيات بسبب الحدود واختلاف السياسات؛ الأمر الذي جعل نشوب الحرب العراقية - الإيرانية ممكنة الحدوث عام ١٩٨٠ والاستمرار ثماني سنوات، وجعل العلاقات متوترة بين إيران وبعض بلدان المنطقة الأخرى. وقد برزت هذه التناقضات أيضاً بين بعض البلدان العربية واشتدت بفعل غلبة النظرة القطرية وهكذا أصبح من الضروري عند الحديث عن الأمن القومي العربي تحديد المقصود، وتوضيح علاقته بالأمن الداخلى، وبالأمن الإقليمي وأمن المجموعات الإقليمية، واستحضار مصادر التهديد وكيفية التعامل معها والسياسات الأمنية التي يمكن رسمها وصياغتها بغية دعم الأمن والحفاظ عليه وقد تساءل عدد من الباحثين ومنهم عبد المنعم المشاط هل يمكن في الظروف الراهنة الحديث عن أمن قومي عربي، أم أن هناك تحولاً كاملاً ونهائياً نحو الأمن القطري بكل ما يعنيه من خيارات قطرية قد تتناقض مع الأمن الجماعي.

إن التهديد الإسرائيلي للأمن القومي لكل من إيران والوطن العربي نابع من العلاقة الاستراتيجية التي تربط الكيان الصهيوني بالولايات المتحدة الأمريكية، وبسياسة الولايات المتحدة تجاه العالم الإسلامي بصورة عامة و المنطقة بصورة خاصة وقد تحدث وليام كوانت عن هذه السياسة بعد عاصفة المنطقة قائلاً دعونا نذكر أنفسنا بالمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط وماذا تكون فعلاً في عصر ما بعد الحرب الباردة؟ لا يزال لدينا مجموعتان من المصالح السياسية والاقتصادية المحددة التي تشدنا إلى هذا الجزء من العالم، وهي ببساطة النفط وإسرائيل فالولايات المتحدة أكبر مستورد للنفط في العالم، وباعتبارها القوة العظمى لا يسعها عدم المبالاة بنفط المنطقة والالتزام الأمريكي لإسرائيل وإن لم تكن جذوره ممتدة إلى مصالح اقتصادية أو سياسية ملموسة، فهو على الأقل مصلحة آمرة كمصالحنا في المنطقة، لاعتبارات سياسية أمريكية محلية في الأساس ونتساءل عما إذا كانت إحدى المصلحتين تعزز الأخرى الجواب بوضوح لا ومن هنا أهمية السلام في الشرق الأوسط.

الباب السادس
الأدب العربى وفارس

عوامل التقارب الثقافي والفكري:

هي:-

١-الاستعراب اللغوي: أدرك الفرس أن تعلم اللغة العربية هو السبيل لفتح باب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وللوصول إلي المناصب العليا في الدولة ولهذا عكفوا علي تعلم العربية وإتقانها.

٢- معاهد التعليم المشتركة: وأهمها أ- الكتاتيب : وفيها يتعلم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم واللغة العربية، وكان المعلمون فيها من مختلف الجنسيات والبيئات. ب -حلقات المسجدين : وهي مرحلة تعليمية بعد الكتّاب وكانت ملتقي للعلماء والأدباء وطلاب المعرفة من العرب والفرس.

جـ- مؤدبوا أبناء الخاصة والخلفاء: كان الخلفاء يجلبون لأبنائهم معلمين خاصين ويكونون ممن لهم علم غزير ليعلموا أبنائهم العلوم والمعارف التي يجب أن تتوافر فيمن سيتولى مناصب في الدولة ومن هؤلاء المؤدبين.

٣-مجالس المناظرة : حفلت القصور والمساجد ومجالس العلماء والخلفاء بمثل هذه المناظرات فكانت مجالا للتبادل الثقافي وتبادل الأفكار بين العرب والفرس

٤- مقتضيات ثقافة الكاتب : كانت ثقافة الكاتب هي خير مثال للتواصل الثقافي والفكري بين العرب والفرس فكان للكتاب تكوين خاص يستمد عناصره من ثقافة الأمم التي دخلت في الإسلام.

٥- النقل والتعريب : ازدهرت حركة الترجمة بين الأدبين العربي والفارسي وهذا بفضل تشجيع الخلفاء للأدب ولحركة الترجمة،وقد بذل الفرس قصارى جهدهم في العصر العباسي الأول لنشر ثقافتهم الفارسية وإحيائها .

٦- المكتبات العامة ومكتبات الأفراد: انشأ الرشيد مكتبة دار الحكمة واستقدم الخليفة المأمون الكتب الأجنبية لهذه المكتبة وأمر المترجمين والكتاب بالإشراف عليها، وقد ظهرت مكتبات أخري مثل مكتبة يحيي بن خالد البرمكي ومكتبة إسحاق بن سليمان العباسي.

واستمرت العلاقة بين العرب والفرس بعد قيام الدويلات ذات الأصل التركي في فارس كالسلاجقة والغزنويين فحاول ملوك هذه الدويلات توطيد علاقتهم بالخليفة العباسي وتشجيع الشعراء وتدعيم الدراسات العربية وإنشاء المدارس التي تهتم بتدريس اللغة العربية والعلوم الفقهية كالمدرسة النظامية التي أسسها نظام الملك في بغداد وظلت العلاقات علي نفس الوتيرة أثناء حكم المغول والتيموريين إلا أن إيران بدأت في الانغلاق والابتعاد تدريجياً عن العرب منذ القرن العاشر الميلادي أثناء حكم الدولة الصفوية.

بعد أن أعلنت المذهب الشيعي مذهب رسمي لإيران وهذا باعد بين إيران وبين الدولة العثمانية التي كانت تمثل المذهب السني واستمر هذا الوضع حتى سقوط الخلافة العثمانية. بعد هذا عادت العلاقات بين إيران وبين الدول العربية ، ولاقت الثقافة العربية اهتماماً كبيراً في إيران وخاصة بعد قيام الثورة التي عملت علي إحياء كل ما هو إسلامي فزاد الاهتمام بالعلوم الدينية واللغة العربية لغة القرآن الكريم كما تصدر إيران صحفاً باللغة العربية وتلقي إعجاباً من الإيرانيين والعرب كما ازدهرت حركة الترجمة من العربية إلي الفارسية وكذلك اهتمت الدول العربية بالثقافة الإيرانية التي أصبحت تستهوي الدارسين العرب والأدباء العرب الذين يحرصون علي الاطلاع علي الآداب الفارسية كما ازدهرت حركة الترجمة من الفارسية إلي العربية فالعلاقات العربية الفارسية قديمة ومازالت قائمة حتى الآن.

العلاقة بين اللغة العربية واللغة الفارسية:

اللغة العربية هي لغة الدين والعبادة والسياسة وهي لغة القرآن الكريم واللغة المشتركة لكل الشعوب التي دانت للحكم العربي، وعلى كل مسلم أن يتعلم هذه اللغة لمكانتها الدينية والعلمية وقد اعتز بها العرب أشد الاعتزاز وكذلك الشعوب التي تتحدث بها .

واللغة العربية هي أولى لغات العالم الإسلامي ولها صلات قوية بكثير من لغات هذا العالم كصلتها مثلاً باللغة الفارسية، فهناك علاقة وطيدة بين العربية والفارسية لم تكن موضع شك أو تساؤل بين علماء اللغات شأنها في ذلك شأن العلاقة بين الثقافتين العربية والفارسية فهما أيضا لم يكونا موضع شك أو تساؤل بين علماء التاريخ.

إن العلاقة بين اللغتين العربية والفارسية ـ قديمة قدم مجاورة بلاد العجم لبلاد العرب وقد بلغت هذه العلاقة منتهاها من القوة بعد أن دخل الإسلام بلاد فارس وامتزجت الثقافتان العربية والفارسية وتكونت منها ثقافة إسلامية واحدة وقد أدت العلاقات الواسعة بين العرب والفرس إلى انتشار لغتيهما وتبادل التأثير فيما بينهما، فاللغة العربية لها تأثير واضح في اللغة الفارسية ومن مظاهر هذا التأثير: كثرة الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، وكتابة اللغة الفارسية بالخط العربي واقتباس بعض قواعد اللغة العربية واستعمال أوزان الشعر العربي وقوافيه.

اللغة العربية ومكانتها:

وقد مرت اللغة العربية كغيرها من اللغات بمراحل مختلفة حتى وصلت إلى الوضع الأخير الذي عرفت به، وكما هو معروف إن الجزيرة العربية هي مهد اللغة العربية نشأت في أحضانها نقية سليمة ، وكانت لهجات أبناء الجزيرة العربية تختلف باختلاف الوطن الذي يعيشون فيه، وقد أدت عوامل عديدة إلى توحيد هذه اللهجات في نهاية الأمر في لهجة قريش التي تعد أفصح اللهجات العربية وعنها يقول السيوطي نقلاً عن ثعلب ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكسكسة ربيعة وكشكشة هوازن وتضجع قيس وعجرفية ضبة ومن أهم هذه العوامل: هجرة القبائل المختلفة من مكان إلى آخر وما يصب ذلك من انتقاء للألفاظ وتنقية للأساليب من لغة الطارئين ولغة القاطنين كما كان لأسواقهم دور كبير في التقريب بين لهجات القبائل وتقوية الأواصر بينها وكان لاجتماع العرب في موسم الحج في مكة أثر بالغ في توحيد لهجتهم حيث تلتقي اللهجات وتتعارض ويحدث ما لابد أن يترتب على هذا الاحتكاك من استعمال ألفاظ خاصة لها من مرونتها ودقة أدائها ما يضمن لها البقاء والخلود ولقد كان لقريش القدح المعلى في ذلك فهي قبلة العرب التي يتجهون إليها ويختلطون بها ويأخذون عنها، ولأبنائها السيادة والشرف تأتيهم القبائل وتصدر عنهم فيأخذون من لهجتها ما حسن حتى استوت العربية على ساقيها واستكملت مقوماتها وتحتل اللغة العربية مكان الصدارة بين اللغات المشهورة وتتمتع بمكانة رفيعة بين اللغات الحية في الوقت الحاضر وينظر إليها نظرة احترام وتقديس من قبل العرب والمسلمين فهي لغة القرآن والدين الإسلامي بالنسبة للمسلم ولغة الآباء والأجداد بالنسبة للعربي غير المسلم وهي لغة الفصاحة والبيان وبها دونت علوم العرب وآدابهم وحضارتهم العظيمة وللغة العربية فضل من جهة اعتدال كلماتها فإننا نجد أكثر ألفاظها قد وضع على ثلاثة أحرف وأقل من الثلاثي ما وضع على أربعة أحرف وأقل من الرباعي ما وضع على خمسة أحرف وليس في اللغة العربية كلمة ذات ستة أحرف أصلية ولها فضل من جهة فصاحة مفرداتها فليس في كلماتها الجارية في الاستعمال ما يثقل على اللسان أو ينبو عن السمع

واللغة العربية هي لغة الخلود لأنها اللسان الذي نزل به القرآن الكريم ، فهي خالدة ومحفوظة بحفظ القرآن الكريم وقد وعد الله سبحانه وتعالى بذلك إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، وعلى كل عربي ومسلم أن يفتخر بهذه اللغة ويعتز بها ويخدمها خدمة للدين القويم، ويجب على كل مسلم أن يعرف هذه اللغة ويتعلمها لمكانتها الدينية والعلمية قال ابن شُبْرُمه إذا سرّك أن تعظم في عين من كنت بعينه صغيراً ويصغر في عينك من كان في عينك عظيماً فتعلم العربية فإنها تجريك على المنطق وتدنيك من السلطان .

وقد كثرت اللغات غير العربية التي تكتب بالحروف العربية وهذا دليل على مكانتها العظيمة في قلوب تلك الأمم المنتشرة في آسيا وأفريقيا، كالهندستانية والأوردية والبنجابية والإيرانية والأفغانية في آسيا وبلاد الهند والكوموكية في أوروبا.

دخل العرب بلاد فارس سنة (٣٠ هـ) (٦٥١م) بعد مقتل يزدجرد الثالث في وقعة (نهاوند) التي سميت فتح الفتوح وقد انتشر الإسلام في ربوع إيران انتشاراً سريعاً واسلم كثير من الفرس في مدة وجيزة وبانتشار الإسلام انتشرت العربية في أنحاء إيران وأصبحت اللغة البهلوية وخطها مهجورين لأن البهلوية ارتبطت في أذهان الفرس المسلمين بالديانة الزرادشتية فنفروا منها ، كما ان الكتابة البهلوية لم تكن شائعة بين الفرس بل كانت محصورة في طبقة خاصة منهم هي طبقة الكتاب وهذا العامل سهل على الفرس هجرها واستعمال الكتابة العربية الجديدة كما أن البهلوية هي لغة المناطق المتاخمة للبلاد العربية وكانت هذه المناطق دائماً في طريق الغزوات والهجمات العربية المختلفة نحو المشرق، ونتيجة لذلك كان أثر الفتوح العربية الإسلامية شديداً في هذه اللغة ولهذه الأسباب زالت اللغة البهلوية من جراء الفتح العربي وقد سادت العربية في بلاد فارس وكان الدافع الأول لإقبال الفرس على تعلمها هو الإيمان الصادق بالإسلام، وان اللغة العربية لغة الدين الإسلامي كما إن اللغة العربية لغة أصحاب السلطان ولغة التدريس في المدارس ولذلك أقبل الناس على تعلمها والسؤال الذي يطرح نفسه ، بعد زوال اللغة البهلوية بعد الفتح العربي من أين جاءت اللغة الفارسية الحديثة التي ظهرت بعد انتهاء عهد السيطرة العربية واتخذتها الدولة الفارسية المستقلة لغة لها ؟.

لقد كانت بالمشرق اللغة الدرية التي كانت تستخدم في بلاد الحكام ببخارى وفيما يحيط بها من المناطق كما أنها منتشرة في خراسان أيضا ومن حسن حظ اللغة الدرية أنها كانت بالمشرق حين قامت الدولة الفارسية المستقلة عن الدولة العباسية، وهذه الدولة هي التي ساعدت على بعث النهضة الأدبية الفارسية وطبيعي ان تتخذ هذه النهضة التي قامت في المشرق لغة المشرق في كل ما يكتب أو يؤلف لقد اتخذت الدولة الفارسية المستقلة التي قامت بالمشرق لغة قومية بدل لغة العرب لبعد المناطق الشرقية عن مركز الخلافة العربية وضعف قبضة هذه الخلافة عليها، وهكذا ظهرت اللغة الفارسية الإسلامية التي اشتد ساعدها بعد ذلك وكتب بها شعراء تزعموا النهضة الفارسية الأدبية بعد الإسلام كالرودكي، وظهرت التآليف والترجمات بهذه اللغة ولا يفهم من هذا إن الفرس هجروا اللغة العربية بعد أن أصبحت لهم لغة قومية لأنهم في الحقيقة لم ينصرفوا عنها في أدبهم وتآليفهم وفي الدولة السامانية التي اتخذت بخارى عاصمة لها والتي ظهر فيها أول شعراء الفرس الكبار بعد الإسلام وهو الرودكي، راج الشعر العربي رواجاً كبيراً،ومع أن الدولة السامانية فارسية إلا إنها لم تحرم الأدب العربي من الرعاية ،كما نالت العربية في عهد أحمد بن إسماعيل شيئاً من مكانتها القديمة حتى صارت لغة الوثائق الرسمية وكانت بخارى مجمع العلم والفضل يسعون إليها من أنحاء العالم الإسلامي وبها يلتقون.

التبادل اللغوي بين العرب والفرس:

لقد كانت اللغة الفارسية أول لغة أجنبية عرفها عرب الجزيرة منذ فجر التاريخ، وهكذا نرى أن العلاقات اللغوية بين العرب والفرس أقدم كثيراً مما يظن كثير من الدارسين, فأحاديث رُستَم واسفنديار وتهاويل الفرس وأساطيرهم القديمة وأغانيهم وأسمارهم كانت معروفة لدى العرب يتناولونها في أوقات لهوهم وفراغهم، بل تذهب بعض الأساطير الفارسية إلى وجود نسب بين الضحاك العربي وبعض أكاسرتهم وأن ملوك فارس كانوا يحرصون على العلاقات العربية الفارسية أشد الحرص، وما تاريخ علاقات المناذرة والأكاسرة بغريب عنّا، فقد كان المناذرة يحكمون شرقي الجزيرة أصالة حينا ونيابة عن الأكاسرة في بعض الأحايين. والقوافل التجارية لم تنقطع قط عن القيام برحلاتها من إيران إلى الجزيرة العربية ومن الجزيرة إلى إيران والهند والصين .

كانت اللغة أهم الأشياء التي تبادلها العرب والفرس، فقد كان كما نرى في كتب السير بعض تجار العرب يقضي جل وقت فراغه بعد أن يفرغ من مشاغل البيع والشراء وعقد الصفقات في الاستماع إلى أقاصيص الفرس ونوادرهم وأحاديثهم وأساطيرهم, فإذا عاد هذا التاجر أو جماعة التجار إلى قبائلهم حدث بما سمع وحفظ ورأى واستوعب من أحاديث القوم, وكما نعلم فالأدب الشفهي سريع الذيوع والانتشار بين الناس.

المشروع الشيعي وخطورته:

تتمثل خطورة المشروع الشيعي في أنه يعد استهدافا لخصائص الدولة وتركيبتها الاجتماعية، ويفرض تأليبا طائفيا، ويضع بذورا للفتنة، فضلا عن البعد الاستراتيجي للمسألة التي يختلط فيها السياسي بالديني الأمني بالمذهبي الإقليمي بالمحلى وإذا كان هناك من تحدث عن سيناريوهات لخلق نوع من الحزام الشيعي يمتد من إيران إلى لبنان مرورا بالعراق وسوريا وإذا كان هذا السيناريو، حين طرح، كان يُنظر إليه بعين الاندهاش والاستبعاد، إلا أن القضية الآن صارت أقرب إلى الواقع مع حصول المذهب الشيعي على نوع من الدفعة السياسية، بعد انتصار حزب الله الشيعي في حربه ضد الكيان الصهيوني وهدف المشروع الشيعي خاصة الفارسي هو السيطرة على العالَمَيْن العربي والإسلامي بَدءاً من إخضاع منطقة الهلال الخصيب (بلاد الشام والعراق)، وذلك بالسيطرة عليها أو إخضاعها ديموجرافياً ومذهبياً وتبشيرياً صفوياً وسياسياً وأمنياً وثقافياً واستيطانياً، وتتضح خطورة المشروع الشيعي في النقاط التالية :

١- يقوم المشروع الشيعي على التواطؤ والتآمر مع القوى الغربية بزعامة أمريكا إلى أبعد مدى ممكن، لاجتياح بلاد المسلمين واحتلالها، وإفساح المجال لها ومساعدتها في السيطرة على أوطان المسلمين، وقد كان لإيران الدور الأعظم في التواطؤ مع أمريكا لاحتلال أفغانستان، ثم العراق وذلك لإضعاف أهل السنّة، ثم الانقضاض عليهم تحت مظلة المحتل الأمريكي.

٢- اللعب بورقة المذهب الشيعي وإشعال فتيل الحرب الطائفية، والقيام بعمليات التطهير العرقي والطائفي، والعمل على تجزئة البلاد وتهجير أهل السنّة العراقيين من المحافظات التي يتداخلون فيها مع أبناء الشيعة، مع قيام المراجع الشيعية بدور مُفسِد، بالتحريض على أهل السنّة وعلى مؤسساتهم التعليمية والدينية، واغتيال الكفاءات السنيّة العلمية والعسكرية والدينية، وممارسة كل الجرائم بحقهم، لترويعهم وتهجيرهم والتشفي منهم .

٣- الاجتياح الديموجرافي الشيعي الفارسي كما يحدث في العراق المحتل، إضافةً إلى حملات التبشير الشيعي في صفوف أهل السنة ويرى بعض المحللين أن المشروع الشيعي يشبه المشروع الصهيوني في معظم وجوهه، لكنه أشد خطراً من المشروع الصهيوني، فهو مشروع استيطاني قومي فارسي مذهبي متطرّف لا يقبل أصحابه بأقل من إبادة أهل السنة إبادةً تامة، وهو مشروع يحمل أحقاداً تاريخيةً ضخمة، ويقوم على خزعبلات دينية مذهبية، ركنها الأساس: تشويه الدين الحنيف، وإشاعة الأباطيل والخرافات عن الإسلام، ونشر الفساد المذهبي القائم على نشر ما يعرف لديهم بمصحف فاطمة، وزواج المتعة، وتأليه الأئمة، وشتم صحابة رسول الله ، وتحريف القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، وتكفير السنّة وأثر جرائم الشيعة تبدو جلية في الساحات الثلاثة التي اختارها الطائفيون الصفويون أو الشيعة بدايةً لتحقيق أهدافهم، بالشكل التالي:

١- في الساحة الإيرانية عمليات تطهير واسعة ضد السنة في إيران، مع قَمعهم والتنكيل بهم، واستباحتهم مع أموالهم وأعراضهم ومساجدهم (طهران كلها ليس فيها مسجد لأهل السنة).

٢- في الساحة العراقية دعم وتسهيل مهمة المحتل الأميركي، وتدمير العراق وتفرقته، وتسليط الميليشيات الشيعية على أهل السنة، والقيام بأضخم عملية تطهير وتهجير ضد أهل السنة مع اتباع عمليات إبادة منظَّمة ضدهم، وتزوير النسب المئوية لسكان العراق بنشر الأكاذيب والدراسات المزيّفة، التي تزعم أن الشيعة هم الأغلبية، مع اجتياح فارسي شيعي استيطاني للعراق لقلب نسبة الأغلبية السنية لصالح الأقلية الشيعية كما أن هناك حملات شيعية مسلّحة مسعورة ضد الفلسطينيين الذين يعيشون في العراق، من مداهمات وقتل واعتقال ونهب وانتهاك أعراض مصادرة بيوت السكن.

٣- في الساحة اللبنانية قام حزب الله وحركة أمل الشيعية باستخدام ورقة المقاومة، للمحافظة على السلاح في أيديهما، واستخدام أوراقهم السياسية في لبنان لصالح أركان الحلف الشيعي الفارسي.

ومن أبعاد خطورة المشروع الشيعي في المنطقة المحاولات المستمرة لنشر التشيع خاصة بعدما أفصح المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق مؤخرا بزعامة عبد العزيز الحكيم، عن تفاصيل مخطّط المد الشيعي في الدول العربية والإسلامية، وذلك في بيان سري وعاجل وجاء البيان متضمنًا توصيات المؤتمر التأسيسي الموسّع لشيعة العالم في مدينة قم الإيرانية

وأوصى هذا المؤتمر بتأسيس منظمة عالمية تسمى منظمة المؤتمر الشيعي العالمي على أن يكون مقرها في إيران، وفروعها في كافة أنحاء العالم، ويتم تحديد هيئات المنظمة وواجباتها، وتعقد مؤتمرًا شهريًا بصفة دورية ويدعو البيان إلى اقتباس تجربة الشيعة في العراق التي يصفها بـ الناجحة لتعميمها في الدول الإسلامية الأخرى ، وفي مقدمتها السعودية والأردن واليمن ومصر والكويت والإمارات والبحرين والهند وباكستان وأفغانستان وفي هذا السياق تكشف التوصيات عن الوسائل والأدوات التي تعين الشيعة على تحقيق مخطّطهم هذا، من خلال بناء قوات عسكرية غير نظامية لكافة الأحزاب والمنظمات الشيعية بالعالم، وعبر الزجّ بأفرادها داخل المؤسسات العسكرية والأجهزة الأمنية والدوائر الحساسة في تلك الدول، مع تخصيص ميزانية خاصة لتجهيزها وتسليحها وتهيئتها لدعم وإسناد الشيعة في السعودية واليمن والأردن.

وتدعو التوصيات إلى استغلال كافة الإمكانيات والطاقات النسائية في كافة الجوانب، وتوجيهها لخدمة الأهداف الإستراتيجية للمنظمة، وتأكيد احتلال الوظائف التربوية والتعليمية، وإلى التنسيق الجدّي والعملي مع القوميات والأديان الأخرى لاستغلالها في دعم الشيعة بالعالم.

ويتضمن مخطط الشيعة لتحقيق هذا الهدف: تصفية الرموز والشخصيات الدينية البارزة من السنّة، ودس العناصر الأمنية في صفوفهم للإطلاع على خططهم ونواياهم ، وفرض مقاطعة على بضائع دول السنّة في مقابل تشجيع الصادرات الإيرانية.

وتطلب تلك التوصيات من القيادات الدينية في العالم تقديم تقارير شهرية وخطة عمل سنوية لرئاسة المؤتمر حول المعوقات والإنجازات في بلدانهم ، والمقترحات اللازمة لتحسين وتطوير أدائها وتقترح كذلك إنشاء صندوق مالي عالمي مرتبط برئاسة المؤتمر ، تنتشر فروعه في كافة أنحاء العالم وهذا المخطط يكشف بوضوح عن خطر الشيعة وعزمهم الأكيد على تصفية السنة واحتلال أماكنهم ويعمل شيعة إيران بشكل مكثف على تزوير الحقائق بشتى الطرق، لإظهار أمرين مهمين، وهما إهانه العرب ورفع شأن إيران في كل ما يمت بصلة إلى تاريخ الرسول وآل بيته

بدءاً بما تم تزويره عبر بعض القصص والروايات المتداولة في مجالس العزاء الدورية، وما يتكرر فيها من سرد تاريخي بعيد عن الحقيقة يدور في دائرة الإصرار زوراً على إيجاد وخلق خلاف وعداء ورفض مستمر على مدار التاريخ بين العرب من كل الطوائف عدا الشيعة وبين آل بيت الرسول .

ويسعى شيعة إيران في كل أدبياتهم لرفع شأن إيران ودورها التاريخي في الإسلام عن طريق ما تزعم تقديمه في الوفاء لآل البيت والاحتفاظ بذكراهم حية لا تموت، وبانتقاء شديد تزخر به عقيدتهم، تتعمد تجاهل كل ما يمت بذكرى آل البيت من المنسوبين للصحابة بالمصاهرة والنسب، ومن ضمنهم على سبيل المثال بنات الرسول السيدة زينب والسيدة رقية والسيدة أم كلثوم، والأخيرتان كانتا زوجتي الخليفة عثمان بن عفان والسيدة أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وزوجة الخليفة عمر بن الخطاب والسيدة فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب وزوجة عبد الله المطرف بن عثمان بن عفان، وأم ابنهما عبد الله الديباج، والسيدة سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب وزوجة زيد بن عمر بن عثمان بن عفان وغير هذا الكثير والكثير عن التاريخ الإسلامي الذي ربط الخلفاء الراشدين وأبناءهم وأحفادهم بالمصاهرة والنسب ورباط الدم بآل بيت الرسول ، لأن ذلك التاريخ من شأنه أن يدحض الكثير من الافتراءات والأكاذيب المملوءة بها كتبهم وتحولها لصالح تاريخ السنة الذين لم يبرحوا يتفاخرون بحبهم لآل البيت والنسب الأصيل الممتد إليهم وأعطى شيعة إيران حقاً إلهياً مطلقاً لأفراد من بني البشر، وهي ولاية الفقيه والتي قال فيها الخميني وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، كما قال إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلاً خاصاً وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة وبجانب ذلك أعطى شيعة ايران أو الصفوية قدسية خاصة لرجال الدين مما يجعل أقوالهم أقرب للقول المنزّل، فاستفادت حكومات إيرانية متعاقبة من هذه الثقافة في دعم أنظمتها وسياساتها رغم مفاسدها، كما استفادت الإدارة الأمريكية من هذه الأقوال في دعم احتلالها للعراق في الجانب الآخر،فإنهم بمقدار تلك القدسية التي يصبغونها على تلك القيادات يقللون من منزلة رجال الدين السنة، كما يكيلون السباب والشتائم إلى الخلفاء الراشدين وصحابة الرسول ضمن أفكار راسخة في المعتقدات الصفوية بأن سب وشتم هؤلاء يحقق لهم الثواب الذي يشفع لهم لدى آل بيت الرسول.

ومنذ عام ١٩٧٩، بعد أن تحولت إيران إلى دولة يحكمها رجال الدين، بدأ شيعة إيران أو الصفويون - الذين كانوا يجنحون للسلم والباطنية والعمل في الخفاء - يأخذون منحى أكثر ميلاً للحدة والعلنية تدريجياً حتى بدأ الصفويون يظهر عنفهم في دول مثل العراق والبحرين ولبنان والكويت واليمن، وتتسلل كثقافة تجمع حولها المريدين في مجتمعات عربية أخرى مثل السودان والجزائر وتونس ومصر وغيرها ويعد التشيع في مصر دخيل عليها, فمصر على مذهب أهل السنة, لكن أهميتها والثقل الذي تتمتع به في العالم العربي والإسلامي جعل الشيعة يتجهون صوبها, فينشرون مذهبهم هناك ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وقد نتج عن هذه الجهود الشيعية قيام أعداد قليلة لا تذكر من المصريين باعتناق المذهب الشيعي وهم يسعون إلى إقامة المؤسسات الشيعية ونشر فكرهم بكل ما أوتوا من قوة, وقد ساعدهم في ذلك الانفتاح الذي تظاهرت به إيران بعد وفاة الخميني, كما أن توقف الحرب العراقية الإيرانية سنة ١٩٨٨ - التي كانت مصر تقف فيها إلى جانب العراق - قد ساهم في بروز هذا التيار المتشيع, وهو الأمر الذي يوجب حذر أهل السنة من المخططات الشيعية التي لا تكتفي بالبلدان التي يوجد فيها عدد كبير من الشيعة, إنما صارت تمتد وتنتشر إلى مجتمعات سنّية صرفة.

نجحت مصر في الصمود أمام المغريات الإيرانية ويبدو أن المصريين كانوا على علم مسبق بنوايا الساسة الكبار في إيران، وكذلك على علم مسبق بالمخطط الإيراني الكبير والذي يريد العبث بالدول العربية لمصلحة المشروع الإيراني، ولكن هذا لا يعني أن مصر مغلقة أمام النفوذ الإيراني، فلقد وردت بعض التقارير السرية والعلنيّة التي أكدت أن السفارة العراقية في القاهرة قامت وتقوم بدورها في هذا المخطط ، أي تعمل رديفا للسفارة الإيرانية وملحقاتها في القاهرة والمدن المصرية الأخرى، ومن خلال بعض الدبلوماسيين والموظفين الذين عُينوا لهذه المهمة وأصبحوا يعملون بتوجيهات من قادة الأحزاب العراقية التي توالي إيران، ولقد تم إرسالهم إلى القاهرة ولبعض العواصم العربية لهذا الغرض، ناهيك عن أن هناك زيارات مكوكية لمصر يقوم بها بعض الرجال من الوزن الثقيل عربا وفرسا وغيرهم، وكذلك الذين يحملون الجوازات الأوربية والأمريكية وهم عرب من العراق والبحرين ولبنان وبعض دول الخليج ويتحركون ضمن الدعم المادي واللوجيستي الإيراني، وحتى من الإيرانيين الذين يجيدون اللغة العربية من حملة جوازات السفر الأجنبية.

حيث نجحوا فى تأسيس الركائز للمشروع الإيراني في مصر و كثير من الدول العربية ، فقاموا بتنظيم كيانات شيعية داخل الجسد المصري، وداخل الجسد الجزائري والتونسي والسوداني، وأخيرا داخل الجسد الصومالي، ناهيك عن أن هناك قيادة إيرانية تقوم بقيادة الحوثيين للقيام بالهجمات تارة ضد السلطات اليمنية وتارة أخرى ضد السعودية وقد تمكنوا من شراء بعض الأقلام والحناجر اليمنية التي أخذت تشيع بأن هناك خطرا وتدخلا ليبيا في اليمن، والهدف هو إبعاد الشبهة عن إيران من جهة، وجر السعودية للخلاف والتصادم مع ليبيا من جهة أخرى.

أما البعثات السرية التي تصل من مصر والدول المغربية إلى طهران ومدينة قم تحديدا فهي في ازدياد مضطرد، وأن قدومهم واضح وهو من أجل الدورات السريعة والدراسات الخاصة والانغماس والانتماء للمشروع الإيراني، و أصبحت مسئولية البعثات السرية إلى طهران أو الشخصيات أو المجموعات نشر ما يطلبه منهم أسيادهم في إيران، وبحجة نشر المذهب الشيعي في هذه الدول المغربية والخليجية، وحتى بين الجاليات العربية في أوروبا وكندا والولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية وتكشف العديد من المؤشرات عن أن إيران دفعت بكل ثقلها نحو تنشيط الخلايا النائمة في الجزائر وتونس والمغرب والسودان نحو تنفيذ مخططات تهدد الأمن في هذه البلدان، وهناك معلومات أنها أخذت تعليماتها أي الخلايا النائمة للعبث بهذه البلدان والزحف نحو الحدود الليبية، ولقد لعبت ـ كما ذكرنا ـ السفارات العراقية كرديف للمؤسسات الإيرانية العاملة في هذه الدول ،وربما ستساعدهم السفارات البحرينية ـ لو فرضت الكتل البرلمانية التي توالي إيران توجيهاتها ـ وربما حتى السفارات اللبنانية فيما لو نجح حزب الله فى فرض الأكثرية، أو فرض الكونفدرالية في لبنان فسيفرض قسما من رجاله في البعثات الدبلوماسية اللبنانية، فإن إيران لديها هوس وهو حلم الوصول نحو شواطىء المتوسط من خلال دعم الانقلابات في دول المغرب العربي لتكون هناك أنظمة لها علاقات أستراتيجية مع إيران، وهي خطة استباق مع المشروع الأميركي القادم نحو دول المغرب العربي من أجل التفتيت مثلما هو حادث في العراق ويراد تصديره للدول المجاورة للعراق.

حزب الله ومدخل جديد للشيعة:

يحاول حزب الله اتباع طريقة جديدة تعزز من وضع الشيعة عن طريق محاولة إقناع الآخرين أن حزب الله يمثل الأمة الإسلامية، خاصة أنه يقف ضد المشروع الأمريكي الصهيوني، ومن ثم يكسب عطف السنة وتأييدهم وبعد ذلك جذبهم للمشروع الشيعي ويأتي منهج حزب الله مخالفا لمنهج عبد العزيز الحكيم الذي يرى أن الاهتمام بالمشروع الشيعي يأتي فى صدارة الأهداف ويكون ذلك من خلال التنسيق مع أمريكا.

استراتيجية القاعدة لمواجهة المد الشيعي:

إن الصراع في لبنان لو كان سياسياً محضاً، بين ما يسمى بمحور الاعتدال العربي (السعودية ومصر والأردن) ومحور الممانعة (إيران وسوريا)، بواسطة أتباعهما من قوى ٨ و ١٤ آذار، فما دخل المجاهدين فيه؟ وإذا كان ثمة مصلحة في الانخراط فيه فما هو تشخيصها؟ وهل المصالح تفوق الأضرار؟ وهل ثمة ضمانات أن لا يكون المجاهدون أداة في يد آل الحريري حين ينحازون إلى أهل السنة عامة دفعاً لصائل معتد فيقعوا في فخ التصفية لاحقاً وتتكرر سوابق معروفة في أكثر من منطقة؟ وعلى نطاق أعمق، هل يستحق الخلاف الداخلي بين مؤيد لمحكمة دولية ومعارض لها، بسبب اغتيال رئيس وزراء سابق، أن يدخل المجاهدون في صراع؟ ألا يعني ذلك، فتح لبنان كساحة مواجهة تنضم إلى ساحة أُخَرى مشتعلة، وما المعنى الاستراتيجي حينئذ؟

ظاهر الأمور من كل الجوانب أن الصراع سياسي محض، وهذا ما هو معلن من كل طرف، فالتيار المستقبل جزء من النفوذ السعودي في المنطقة، وهو يستوعب فئات من كل الطوائف، وإن كان يضمّ كثرة نشطة من أهل السنة، وهو لا يعتبر نفسه حزباً طائفياً سنياً، ويعمل من داخل أي حزب ديني مدّعياً الاعتدال الإسلامي، بخلاف ما يراه تطرفاً وإرهاباً، لكن ليس لعوام أهل السنة سوى هذه الواجهة حتى اللحظة، وهي برسم الانهيار والقضاء المبرم عليها، بحسب تهديدات حزب إيران وعملاء سوريا، وتواطؤ السعودية، فلا يبقى بعد ذلك من الطبقة السياسية سوى الفتات من قيادات متهافتة أو متهالكة لا تملك لنفسها إلا ما يُمليه عليها الحزب الإيراني من قرارات وتوجيهات.

أي أن الوضع سيكون أسوأ من الراهن وبالنسبة لتيار الجهاد، ليس بالمعنى التقليدي للحاضنة الشعبية وحسب، بل إن الإطار العام سيكون غير متلائم بدرجة متعاظمة ولا مبالغة في القول، إن إلغاء المحكمة أو تجاوزها داخلياً وانهيار واجهة الحريري، سيعيد الوضع إلى لحظة إعلان أحمد أبو عدس تبني جماعته المزيفة لاغتيال الحريري الأب، حتى لو توجهت أصابع الاتهام إلى إسرائيل كجهة اغتيال بديلة ومقنعة لبعض الشرائح والفئات. وترجمة ذلك، استئناف التحريض على المناطق والجماعات والأفراد تحت دائرة الشبهة، واستخدام موارد الدولة الشحيحة من جيش وقوى أمنية، في عملية استنزاف متطاولة للطرفين بعيداً عن الحزب الإيراني، بدءاً من استفزاز المجاهدين وأنصارهم وإخراج ما هو مخبوء من خطط وطاقات وقدرات، لتقع معركة مشابهة لسيناريو مخيم نهر البارد، وبتوقيت مناسب لهم وهنا يُطرح سؤال وجيه: فإذا كانت طبيعة الصراع ليست كما هو ظاهر، بل حملة تصفية جديدة لتيار الجهاد وأنصاره في لبنان، بذريعة درء الفتنة المذهبية الآتية على صهوة القرار الظني المدعوم إسرائيلياً وأمريكياً، كما يزعمون، فهل ننجرّ بأيدينا إلى الفخ المنصوب لنا سلفاً، حيث الجهات المحرّضة والمنفّذة، معروفة بأسمائها ومناصبها ومواقعها؟ وهل ننحاز إلى الطرف الآخر من المعادلة، وهو مخترق سورياً وسعودياً، تحت لافتة التفاهم بين الأسد وعبد الله، لمقايضة وهمية اسمها العراق مقابل لبنان، إذ ليس تيار الحريري الآن سوى ضحية أسياده السعوديين الذين يريدون سدّ الذرائع في العراق ولبنان، لوقف نمو تيار الجهاد من جهة، وتحجيم النفوذ الإيراني في البلدين بأداة سورية مصطنعة من جهة أخرى، كمستجير من الرمضاء بالنار؟ والأولوية آنذاك هى لإفشال الفصل بين جمهور أهل السنة وبين المجاهدين وعليه فإن طرح التساؤل عن الحاجة إلى دخول المجاهدين في الصراع،على أساس أنه من طبيعة سياسية محضة أو أنه بين معسكرين لا يمتّان إلى الإسلام بصلة، يصبح غير قابل للصرف، بل نوعاً من إهدار الوقت فالمجاهدون في أي مكان هم جزء حيوي من السنة إلا إذا اعتبرنا المجاهدين طائفة مستقلة برأسها، وأن الإسلام محصور في أعضائها وحسب، وهذا ما لا يقول به القادة المخلصون ولا العلماء العاملون، بل الصراع الحقيقي بيننا وبين أعدائنا على كسب هذا الجمهور إلى جانب الحق، وعلى أن يكونوا عوناً لنا ونكونَ درءاً لهم، وهذه المعادلة السليمة التي نسعى لإرسائها.

الباب السابع
العلاقات وآفاق المستقبل

إيران وثورات الربيع العربى:

لقد صاحب ثورات والربيع العربي، تراجعا واضحا في دور وفاعلية قوى إقليمية عربية تقليدية، خاصة الدور المصري إبان العقد الأخير من حكم الرئيس حسني مبارك في عديد من ملفات المنطقة المهمة، وفى المقابل تزايد دور قوى إقليمية جديدة في المنطقة، لتحل تركيا وإيران –على سبيل الحصر- محل النفوذ المصري والسعودي المتراجع عربيا والذي كان جليا في عديد من المشاهد الإقليمية، سواء خلال حرب لبنان عام ٢٠٠٦، او في حرب غزة نهاية عام ٢٠٠٨، والحصار الإسرائيلي لقطاع غزة، والتعدي على أسطول الحرية. الأمر الذي ساهم في رفع رصيد تلك القوى عربيا وإسلاميا، كما أظهرت نتائج استطلاعات الرأي العام العربية خلال تلك السنوات.

وواكب تصاعد النفوذ الإقليمي الإيراني في المنطقة توتر في العلاقات العربية – الإيرانية إدراكا من بعض القوى العربية ان الدور الإيراني تحديدا يهدف الى تسجيل مواقف عربية وإسلامية تسقط الأقنعة عن مواقف بعض الدول العربية التي لم تفعل شي إزاء الهيمنة الإسرائيلية والعدوان على غزة ولبنان، بل وكشفت عن تآمر بعض الأطراف مع إسرائيل بشكل غامض بهدف الخلاف من حزب الله وحركة حماس في لبنان وغزة. وواكب تلك المرحلة، دخول الطرفين العربي – الإيراني في مرحلة اختبار جديدة ازدادت ضبابية مع انطلاق ثورات الربيع العربي منذ نهاية العام الماضي ٢٠١٠م، الأمر الذي أضفى غموضا حول مستقبل الدور الإيراني في المنطقة، في وقت لا يستطيع فيه احد ان يتحدث عن موقف عربي واحد تجاه إيران، بل هناك اتجاهات متعددة وأحيانا متناقضة، ويزداد الأمر ارتباكا مع تدخل القوى الخارجية التي تلعب أدوارا عكسية، ضاغطة وسلبية، للتأثير على منحى العلاقات العربية – الإيرانية.

وإثر اندلاع ثورات الربيع العربي التي شهدتها بعض الدول العربية، تونس ومصر وسوريا والبحرين واليمن وليبيا، أعلنت إيران عن دعمها لحق الشعوب العربية في التحرر من الاستبداد والتطلع إلى الحرية والديمقراطية ، لكن بعد ان وصل قطار الربيع العربي إلى دول حليفة لها، وتحديدا سوريا، تغيرت الإستراتيجية الإيرانية، وبات الربيع من وجهة نظرها، خريف أوروبي-أمريكي-إسرائيلي مبني على نظرية التآمر على دولة المقاومة والممانعة.

ولذلك، تراوح الموقف الإيراني بين التأييد تارة والمعارضة تارة أخرى، حيث أيدت إيران بعض الثورات، مثل ثورة مصر وتونس، وأيدت ضمنيا الثورة الليبية، مع التحفظ على التدخل العسكري الغربي، كما أيدت مطالب المعارضة الشيعية في البحرين ورفضها للتدخل الخارجي من جيرانها أعضاء مجلس التعاون الخليجي لقمع المظاهرات الشيعية في البحرين، وأيد البرلمان الإيراني الاحتجاجات في اليمن، ولكنه رفضها في سوريا.

وأيدت إيران النظام السوري في مواجهة الاحتجاجات الشعبية التي تجتاح المدن السورية لدرجة أنها وصفت تلك الاحتجاجات بالمؤامرة الخارجية، وحاول الإعلام الإيراني تسليط الضوء على الروايات الرسمية السورية، وتجاهلت المعارضة ورواياتها.

كما ساهمت إيران في تقليل فرص نجاح الثورة في بدايتها، حيث قدمت مساندة سياسية وإعلامية ومادية وعسكرية للحيلولة دون إسقاط النظام السوري أو فتح المجال أمام القوى العربية والدولية من فرض أجندتها على سوريا لإخراجها من حلف الهلال الإيراني الشيعي، وهذا الموقف لم يكن مفاجئا نتيجة لطبيعة العلاقات الإستراتيجية بين سوريا وإيران، لأنه في حالة سقوط نظام الرئيس السوري بشار الأسد، فيعنى ذلك فقدانها لأهم حليف استراتيجي في المنطقة، ومن ثم فقدانها للتواصل مع حلفاء آخرين، مثل حزب الله اللبناني، وحماس، الأمر الذي يؤدي لتغيير قواعد لعبة المنطقة بأكملها، وكل ذلك كشف عن الازدواجية السياسية في المواقف الإيرانية التي ادعت في البداية مناصرتها لثورات الشعوب العربية.

وفي هذا الصدد، ذكرت صحيفة الجارديان البريطانية في شهر يوليو الماضي أن إيران تساعد النظام السوري على قمع المحتجين المطالبين بالديمقراطية، وذكرت أن النظام السوري في طوره لإخماد الثورة. وبغض النظر عن احتمال نجاحه أو فشله في هذه العملية فإن الدور الإيراني في دعم نظام الأسد عاد إلى دائرة الضوء بحكم الشراكة الإستراتجية بين البلدين وتداعيات أي تغيير يطرأ عليها على المستويين الإقليمي والدولي.

وبالمقال تتساءل صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية عن دور إيران في الربيع العربي وإمكانية استفادتها –أي إيران- من ذلك في بعض الدول مثل البحرين والأردن، فترى الصحيفة الإسرائيلية أن الربيع العربي سيأتي بالنفوذ الإيراني إلى البحرين والأردن مثلا، وكأن الصحيفة اليهودية تتجاهل الاتهامات الإيرانية للربيع العربي بأنه يأتي باليهود – أيضا- إلى دول الربيع العربي، فبعد ثورة الشعب السوري، شعرت إيران بأن نفوذها في المنطقة بدأ يتهدد تدريجيا، فخسارة سورية يعني نهاية نفوذها في المنطقة والربيع العربي بكل الأحوال سيطرد النفوذ الإيراني من سورية والعراق ولبنان.

وليس مفارقة، أن يتطابق الموقف الإيراني - الإسرائيلي مع بعض المواقف القومية والإسلامية التي ترى ربيع العرب تهديدا ومؤامرة. لأن أي تحول ديمقراطي جاد وحقيقي في دول العالم العربي، سيهدد بلا شك مصالح إيران، كما يهدد مصالح بعض الأنظمة العربية، فضلا عن مصالح الغرب والولايات المتحدة الأمريكية. وعلى صعيد مناقض من الحالة السورية، يجد الكاتب موقفا مناقضا لإيران لتحركات الشارع البحريني في المنامة، فالبحرين لها أهمية وخصوصية دقيقة جدا، سواء على المستوى الخليجي أو على مستوى أطماع إيران فقد أيدت إيران الأحداث منذ بدايتها، ووصفت مطالبها بالمشروعة، واتهمت بالتدخل المباشر في الشأن البحريني، من خلال دعمها لقوى المعارضة الشيعية المتمثلة في جمعية الوفاق، والتي رأت فيها إيران نموذجا يجب تطبيقه في البحرين. وأحدثت تلك الاحتجاجات في البحرين خللا بالأمن ، نتيجة قيام المحتجين بسلسلة من الأعمال التخريبية، وقتل وعنف، مما ساعد على تفاقم الأزمة، واستدعاء قوات درع الجزيرة لضبط الوضع الأمني، وهذا التدخل عارضته إيران بشدة.

ولا شك أن امتداد ربيع الثورات العربية إلى دول حليفة لإيران، خاصة سوريا، يربك بشكل كبير حسابات إيران، فبعكس الانتقادات التي وجهتها طهران إلى الأنظمة العربية التي تشهد ثورات، وصف الرئيس أحمدي نجاد ما يقع في سوريا بأنه شأن داخلي، فيما ذهب سياسيون إيرانيون لوصف ما يجري في سوريا تحديدا بالمؤامرة وتصفية حسابات، بحجة إن ما يجري في سوريا لا يشبه الانتفاضة الشعبية بشيء إنما هو انتقام سياسي عربي ودولي من دمشق بسبب وقوفها إلى جانب المقاومة ودعمها القضايا العربية في فلسطين ولبنان.

ولا شك أن انهيار نظام الأسد قد يهدد تماسك المحور الإقليمي الذي نجحت طهران في تشكيله بعد سقوط نظام صدام حسين في العراق، فالمحور الممتد من طهران إلى بغداد ودمشق وحزب الله حتى غزة، قد ينهار فجأة في حال انهار النظام السوري، لاسيما وان حركة التفكك وتأثير لعبة الدومينو بدأت بعد توقيع حركتي حماس وفتح اتفاقية المصالحة، وخروج نسبي لحركة حماس من دمشق صوب قطر والأردن، وإذا ما حصل تغيير شامل أو جزئي في سوريا، فقد يتأثر الجسر الذي يربط إيران بحلفائها الإقليميين خاصة حزب الله في لبنان.

لذلك، يمكن الاستدلال بعدم وجود موقف إيراني ثابت من الثورات العربية طبقا لمصالحها، فما تراه هناك ثورة شعبية تراه في مكان آخر مؤامرة دولية فإيران تنظر إلى الثورات العربية من واقع تأثيرها على مصالحها في المنطقة ومدى إمكانية أن تغير الحسابات الإيرانية تجاهها، لذلك خسرت إيران كثيرا من رصيدها لدى الشعوب العربية، نتيجة لتعاملها مع الأحداث البحرينية على أنها أزمة طائفية، بالإضافة إلى دعمها التام للنظام السوري ضد الانتفاضة الشعبية في سوريا.

الأمر الذي يرتبط أيضا بمواقف الدول العربية من طموحاتها الإقليمية، كما أنها حاولت استغلال الثورات العربية، بوصفها بوادر صحوة عربية إسلامية، ما دفعها إلى الدعوة إلى أنظمة حكم تقوم على أساس ديني، فضلا عن ذلك حاولت إيران إضفاء طابع أيديولوجي على الثورات من خلال التركيز على مواقف الأنظمة في الدول التي تشهد الثورات تجاه الغرب وإسرائيل.

ثورات الربيع العربي ستمتد حتماً إلي إيران:

ان ثورات الربيع العربي ستعود حتما إلي إيران وستشهد إعادة إحياء الربيع الإيراني الذي بدأ قبل الثورات العربية واستطاعت أجهزة القمع الإيرانية إخماده وأن ثورات الربيع العربي بدأت في لبنان ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ مع قيام الحريري بطرد سوريا ثم انتقلت إلي باكستان وإيران التي شهدت انتخابات كان فيها الربيع علي أشده إلا أن فيروس الثورات سيصل ثانية إلي إيران لأن المنطقة كلها تنتشر فيها العدوي وهي عادة متأصلة في المنطقة.

ومن الأسباب التي ستعجل بذلك الصراع الداخلي بين المرشد الأعلي علي خامئني الذي يريد إلغاء منصب رئيس الجمهورية وبين المؤسسة المدنية التي سترفض ذلك رغم خضوعها للمرجع الديني بالإضافة إلي ان الإيرانيين يعانون معاناة شديدة في المعيشة والطاقة إلي جانب الانشقاقات واضطهاد السنة وإعدامهم والمجتمع الإيراني ليس متماسكاً بالشكل الذي يبدو في الإعلام ناهيك عن الضعف السوري وضعف حزب الله والضغط الأمريكي والإصرار علي التصعيد.

إيران تعرض قمح مخفض على مصر:

فى محاولة ايرانية لابداء حسن النية تجاه العلاقة مع مصر عرضت ايران عن طريق أبدي السيد أغا محمدي, مساعد رئيس الجمهورية الإيرانية للشئون الاقتصادية استعداد بلاده لتصدير القمح لمصر بتخفيض ١٠ % عن سعر البورصة العالمية, وإرسال ٤٠٠ ألف سائح بشكل متوال حتي نهاية شهر رمضان المقبل مشيرا إلي أن الحد الأدني لإنفاق السائح الإيراني خمسة آلاف دولار بإجمالي ملياري دولار تصريحات المسئول الإيراني جاءت خلال استقباله الوفد الشعبي المصري, الذي زار وأعلن وزير الخارجية الإيرانية إن إيران مستعدة لإعادة العلاقات مع مصر دون قيد أو شرط وفورا, ونحن نعرف أهمية موقع مصر ومكانتها وضرورة أن تعود العلاقات الطبيعية , خاصة ان المشتركات بين البلدين عديدة بعيدا عن كل هذه الامور البسيطة فان النظرة الاهم تكون لما حققه الوفد المصرى من نتائج وما يطمح فيه من مساندة رسمية في المجالات المختلفة وشملت الاقتراحات الإيرانية ـ التي تحتاج آليات مصرية لتفعيلها ـ الجانب الثقافي حيث أشار صباح زنكي إلي تقدم صناعة السينما الإيرانية معلنا الاستعداد لوضع كل الخبرات تحت تصرف مصر, وهذه مهمة الوفد المصغر الذي سيقابل رئيس الوزراء والمجلس العسكري لمعرفة مدي الاستعداد لقبولها وبدء تفعيلها, حتي لو تأخر القرار السياسي إلي ما بعد اجراء الانتخابات البرلمانية كما أعلن مؤخرا وزير الخارجية المصري نبيل العربي في لقائه مع علي أكبر صالحي وزير الخارجية الإيراني.

أسس العلاقات الجيدة:

هناك عدة أسس لكى يمكن إقامة علاقة طبيعية مع ايران منها :
محاولة التقريب بين المذاهب الإسلامية (وهذا مرفوض سنيا لأن الشيعة فى إيران يسبون كبار الصحابة ويتهمون السيدة عائشة ويطعنون فى شرفها بل ويكفرون من شهد له النبى بالجنة)٠
العدو المشترك إسرائيل بشكل عام .
العدو المشترك أمريكا مع بعض الدول العربية .
دعم القضية الفلسطينية التى أهملها العرب والتفت حكامهم إلى مصالحهم الشخصية .
دعم حزب الله والمقاومة بشكل عام .
الحلف الإيراني السوري.

نحو تسوية سلمية لحل قضية الجزر:

منذ اندلاع الأزمة بين العرب وإيران حول الجزر الثلاث برزت محاولات عدة لحل الأزمة سلميا، حيث عقدت مفاوضات مباشرة بين أبوظبي وإيران في الفترة من ٢٧ ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٩٢ خلال ثلاث جلسات عمل، لكن لم يتوصل الطرفان إلى حل مرض، إذ رفضت إيران بحث موضوع احتلال إيران الجزر العربية أو مناقشته وأكد مسئولون إيرانيون رفضهم التام بحث هذا الموضوع، فقد صرح ناطق نوري رئيس مجلس الشورى قائلا: كانت هذه الجزر إيرانية ولم تزل إيرانية وستظل إيرانية وقد حذر الرئيس الإيراني رفسنجاني من التعرض للجزر، وهدّد قائلا بأن الإمارات ستعبر بحراً من الدماء للوصول الى الجزر، وأكد بأن إيران لن تتخلى عن الجزر الاستراتيجية الثلاث في الخليج مهما كلف الأمر واستمرت الإمارات في دعوتها للوصول لحل بالطرق السلمية على الرغم من إصرار إيران، ورفضها الدخول في مفاوضات حول الجزر. ولقد كثفت الإمارات من تحركاتها على المستوى الاقليمي مع دول مجلس التعاون الخليجي، ومع دول إعلان دمشق، ومع الدول العربية، من خلال الجامعة العربية، كما نقلت موضوع الجزر العربية إلى الأمم المتحدة.

وقد ردّت إيران على المطالب الاماراتية بتأكيد موقفها وهو:
١- ان جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى جزيرتان إيرانيتان، وأنهما جزء لا يتجزأ من أراضي إيران، وان السيادة الإيرانية عليهما ليست مطروحة للمناقشة مع الآخرين أبدا.
٢- ان التفاوض بشأن جزيرة أبو موسى يجب أن يتم في إطار مذكرة التفاهم، وعلى نحو يحقق مصالح إيران الأمنية والاقتصادية والاستراتيجية في الخليج.
٣- إبعاد المسألة عن تدخلات القوى الكبرى تحت أي ستار كان، والتوقف عن إثارة أية مطالب اقليمية في المحافل الدولية.

وبسبب تغيب إيران وعدم استجابتها للمساعي والمبادرات السلمية لحل المشكلة أعلنت الإمارات العربية عن استعدادها التام للاحتكام الى محكمة العدل الدولية باعتبارها الجهاز المنوط به تسوية النزاعات بين الدول، وعن تعهدها بقبول النتائج كافة التي قد يسفر عنها حكم المحكمة الدولية باعتباره حكما قائما على الحجج والأسانيد القانونية. الحقيقة التي يعرفها الجميع هي أننا نحن العرب، لا يمكننا تجاهل إيران كدولة مهمة في المنطقة خصوصا وأنها اكبر دولة خليجية بمساحتها وموقعها الاستراتيجي المهم، وتعداد سكانها الذي يقارب الـ ٦٠ مليون نسمة فلقد لعبت القوى الاستعمارية دورا كبيرا في إذكاء الصراع وتعميقه بين العرب وإيران، إذ لعبت بريطانيا دورا غريبا بتأييدها العرب تارة، وتأييدها إيران الشاه تارة أخرى، وذلك من اجل إبقاء مصالحها في المنطقة وكانت إيران حليفة الولايات المتحدة في الخليج، وأصبحت في الستينات والسبعينات من أكبر وأقوى دول المنطقة ماليا وعسكريا، بسبب دعم الولايات المتحدة إياها، ولقد لعب شاه إيران دورا فعالا كشرطي للخليج أما اليوم تغيرت الصورة بعد الثورة في إيران، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي حيث أصبح النظام الدولي الجديد بزعامة الولايات المتحدة يسعى جاهدا لتحجيم دور إيران بسبب مواقفها الثورية من إسرائيل وأمن المنطقة ككل.

إن العرب والإيرانيين يحتاج بعضهم إلى بعض لاعتبارات كثيرة، سياسية واقتصادية واجتماعية لذلك عليهم التعاون وتوثيق مصالحهم المشتركة، فالمنطقة العربية مقبلة على تغيرات كثيرة بسبب عملية السلام مع إسرائيل فليس من المعقول أو المقبول أن تتوسع العلاقات العربية - الإسرائيلية وتتجاهل الجارة الكبرى إيران.

لذلك نرى أن على العرب والإيرانيين أن يركزوا على القضايا التي تخدم مصالحهم المشتركة، وان يحاولوا حل خلافاتهم الحدودية بالطرق السلمية.
منذ غزو الولايات المتحدة للعراق عام ٢٠٠٣، ورغم المساندة الإيرانية لهذا الغزو، بدأ التوتر في العلاقات الإيرانية الأمريكية يرتكز على الملف النووي الذي جعلته إسرائيل على رأس أولوياتها، بعد أن لاحظت صعود القوة الإيرانية بعد هذا الغزو، وانفتاح العراق أمام النفوذ الإيراني بسبب فشل سياسة الاحتلال الأمريكي والسياسات الأمريكية في العراق عموماً والتي أملتها المصالح الإسرائيلية، فأصبحت القوة الإيرانية بشعاراتها المعادية لإسرائيل وسياساتها في دعم المقاومة في لبنان وفلسطين أكبر عقبة في سبيل تمدد المشروع الصهيوني هكذا اتصلت إسرائيل بإيران على الفراغ الذي تركه العالم العربي،بحيث أصبحت الدولتان هما اللاعبين الأساسيين في الصورة، وبالطبع تقف الولايات المتحدة مساندة لإسرائيل .

وخلال عامي ٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩ خاصة بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان، وصعود حزب الله في هذه المواجهة، ثم بعد فشل العدوان الصهيوني على غزة ديسمبر ٢٠٠٨، يناير ٢٠٠٩ برزت حماس في الساحة الفلسطينية،وبدأ الاحتكاك المباشر بين بعض الدول العربية وإيران، ومع كل من حماس وحزب الله، فأدى ذلك إلى استقطاب حاد في العالم العربي بين شعوب تؤيد المقاومة، وتشكر لإيران؛ بصرف النظر عن أن هذه المساندة جزء من مشروعها الذي بدأ يتصادم مع المشروع الأمريكي من خلال المقاومة، ومع المشروع الصهيوني أيضاً، فانكشف الجسد العربي الذي يفتقد إلى غطاء عربي عربي يحمي على الأقل المصالح العربية التي صارت أوراقاً في يد هؤلاء اللاعبين الثلاثة، في هذا المناخ توترت العلاقات العربية الإيرانية لأسباب موضوعية ونفسية، وبلغ التوتر غايته بقطع المغرب علاقاته الدبلوماسية مع إيران، وكذلك بما ورد من تقارير عن دور لإيران في التمرد الحوثي في اليمن، مما أشاع الاعتقاد بأن العالم العربي يوشك أن يقف وراء إسرائيل وواشنطن في أيِّ مواجهة، عسكرياً أو سياسياً، قادمة مع إيران، خاصة بعد أن أغلقت الحكومة الإسرائيلية ملف القضية الفلسطينية، ورفع وزراء الخارجية فيها كل ما يتعلق بها من موقعها على شبكة الإنترنت، وارتفع محلها زئير المستوطنين ومعاول الهدم في القدس مشروعها الاستيطاني والتهويد، وربط إسرائيل بين أي لين في موقفها من القضية الفلسطينية وبين المساندة العربية لإسرائيل ضد إيران.

في مناخ التوتر ارتفعت أصوات تطالب بالتصدي لإيران مع المعسكر الصهيوني والأمريكي، وضرب المقاومة، التي يضاف إلى عجزها عن تحرير فلسطين والأراضي العربية، أنها أتت بخطر إيراني أكبر، فيما ورد في تصريحات واضحة للمسئولين المصريين، وتحذيرات واضحة حول السلوك الإيراني في العراق والخليج من جانب المسئولين السعوديين وارتفعت أصوات مناهضة للخط السابق تدعو إلى الحوار مع إيران، واكتسبت هذه الأصوات دفعة جديدة رسمية بمطالبة السيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية يوم ٣ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٩ بحوار جماعي مع إيران، وفي السابع من سبتمبر بدا أحمدي نجاد مرحباً بالحوار، وإن أكد أنه لا توجد مشاكل بين العرب وإيران؛ فكلاهما في قارب واحد ضد الأطماع الصهيونية.

ورغبة في تعزيز سبيل الحوار العربي الإيراني، وتشجيعاً للباحثين في دفع هذا الاتجاه، رأينا أن نقدم مساهمة أولية أن إقبال واشنطن على التفاوض مع طهران رفع حرجاً عن كثير من العواصم العربية في الحوار مع إيران، ولكننا نرى التفاوض الأمريكي مع إيران سوف يكون بالضرورة على حساب المصالح العربية، ولذلك فإن الحوار الإيراني العربي ربما يمثل صمام أمان لتفادي الآثار السلبية للمفاوضات الإيرانية الأمريكية، ونأمل في الإسراع في بلورة موقف عربي وأوراق عربية، قبل أن تتوزع المنطقة العربية بين سايكس الأمريكي وبيكو الإيراني هذه المرة إيران جزء من نسيج المنطقة وثقافتها، وتجاهلها أو التآمر ضدها سيكون لمصلحة القوى الأجنبية التي تستهدف المنطقة العربية.

وقد توترت العلاقات العربية الإيرانية بشكل عام خلال النصف الثاني من ٢٠٠٩ بسبب اتهام اليمن لإيران بأنها تدعم التمرد الحوثي، خاصة بعد بداية المواجهات بين القوات السعودية وقوات التمرد في منطقة الحدود اليمنية السعودية أعقب ذلك انتقاد إيران لما أسمته بالتدخل السعودي في اليمن ثم دخول مصر على الخط لمساندة السعودية واليمن والتصريحات الغاضبة للرئيس مبارك بالتصدي لإيران في العالم العربي. ارتبطت هذه التطورات بتعثر المصالحة الفلسطينية واتهام إيران بذلك. (١)غير أن عام ٢٠٠٩ أبى أن ينصرف قبل أن يسجل حدثين هامين في هذا السياق؛ الأول هو قمة مجلس التعاون الخليجي في الكويت التي دعت إلى حوار عربي إيراني الحدث الثاني هو زيارة رئيس مجلس الشورى الإيراني للقاهرة في إطار أنشطة الاتحاد البرلماني الإسلامي .

علاقة الحب والكراهية بين العرب والفرس:

كلمة عجم تشير الى غير العربي و خاصة الفرس ولا يزال يسمى الفارسي بالعجمي على غرار اطلاق اليوناني صفة البربري اي الدخيل على غير اليوناني والتي تغير معناها الى الوحشي في اللغات الاوربية الغربية وكلمة يونان تغيرت لفظها في الالمانية الى جاونه ومعناها اليوم الغشاش او الشرير فكلمة فارسي هي في الحقيقة عربية أصلها بارس فغير العرب الباء فارس - اضف نقطتين الى الباء- الى ف في الماضي لعدم وجود هذا الصوت في العربية وهذا ادى الى تعريب كلمات فارسية كثيرة تحولت بيروز الى فيروز وبيريديزا الافستية الى فردوس العربية جنات الفردوس نزلا وتحولت كلمة بنكان الفارسية الى فنجان لنشرب منه القهوة العربية والعلاقة التي تربط العرب و الفرس قديمة مبنية على الحب و الكراهية في أن واحد بحكم علاقات الجوار فالحضارة الساسانية كانت عريقة لها فضل على الحضارة الاسلامية فكلمة الديوان التي وصلت الى جميع اللغات الاوربية هي ليست عربية او مشتقة من دون - يدون كثير من الكلمات التي تشير الى الادارة هي اما يونانية (معظم اسماء العملة النقدية كالدينار والدرهم) لاتينية او فارسية وعلاقة العرب مع الفرس قبل الاسلام و في الفترة الاولى بعد الاسلام كانت وثيقة جدا تراها من وجود كلمات فارسية في القرأن واهم كلمة استعارها العرب هي كلمة الدين الفارسية القديمة ديانا التي كانت تعني القرار او الحكم اضافة الى فردوس و ابريق و زرابي و ديوان... بعد الاسلام كتب الفرس كتب قواعد اللغة العربية (سيبوية) و الفلسفة و الطب باللغة العربية وهناك تدخل فارسي كبير تقريبا في جميع نواحي الحياة كاسماء شهرزاد و شهريار في قصص الف ليلة و ليلة واسم مدينة بغداد عاصمة الجمهورية العراقية والمقامات البغدادية وتحولت تشت الفارسية الى طاس وتازه الى طازج (تتحول الهاء الفارسية عادة الى جيم العربية: برنامه الى برنامج هنك الخديو والطربوش والترزي (الخياط) المصري من درزي (ابرة) الفارسية. اما بعد الاسلام فانقلبت الصفحة عندما بدأت اللغة العربية باعتبارها لغة الدين الاسلامي وبعد ان استسلم الفرس بالتاثير على اللغة الفارسية الى درجة الاجتياح الكلي واللغة الفارسية اليوم لا تستطيع العيش بدون العربية وانك تجد في كل جملة فارسية كلمة عربية على الاقل واهمل الفرس لغتهم الفارسية وتوجهوا الى الخط العربي واللغة العربية رغم انها لغة سامية تختلف كثيرا عن اللغات الإيرانية.

ستبقى العلاقة مع الجارة إيران علاقة حب والاستفادة من البعض و التجارة مع الأخر و تارة اخرى علاقة حرب و كراهية ومصالح و منافسة على الخليج العربي – الفارسي الخيط الذي يفصل بين الحب و الكراهية رفيع حقا وجميع انواع الاحتكاك تؤدي احيانا الى الزواج واحيانا الى الطلاق في رحلة الحياة .

مستقبل العلاقات:

يرتبط مستقبل استمرار العلاقات بين البلدين بالرغبة فى تطويرها وتحسينها على قاعدة التعاون والتشاور الشفاف والاحترام المتبادل لخصوصية كل طرف اتجاه الطرف الآخر وعلى مراعاة المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة التي تحفظ الحقوق الوطنية وتصون الكرامة الإنسانية فالمخاطر والتحولات ومن ثم النجاحات التي حققاها في مسيرة تعاونهما تفرض عليهما أكثر من أي وقت مضى البناء على ما تم انجازه والعمل على تطويره وتحديثه، ونعتقد أن العمل الذي يتم على إحداث شرق أوسط جديد (سورية-إيران-تركيا-العراق-لبنان-فلسطين) تريده دول المنطقة كما قال بشار الأسد بديلاً عن الشرق الأوسط الجديد الذي بشرت فيه وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس أثناء عدوان ٢٠٠٦، يأتي ضمن هذا التوجه كخطوة على الطريق الصحيح مدعومة بالمؤيدات التالية:

• إدراك قيادات البلدين أهمية هذه العلاقة ودورها في تثبيت استقرار المنطقة كمبدأ معلن في سياستهما وكمدخل لتصليب الأرضية التي تستند عليها العلاقات، والتي كان من نتائجها ملامح فشل المشروع الأمريكي - الصهيوني وانتصار المقاومة وخاصة في الجنوب اللبناني وزيادة فعاليتها في مقاومة الاحتلال بفلسطين و العراق.

• التحديات التي تفرضها العولمة في جانبها الاقتصادي، والتي تحتاج مواجهتها تعاوناً عربياً وإسلامياً ودولياً، تجد استجابة لها في أن يبدأ التعاون أولاً مع البلدان التي تتوفر فيها الارادة السياسية الداعمة والمتماثلة في التوجهات والمتقاربة في المواقف.

وبالقياس على ذلك يكون العمل على صياغة معادلة مابين إيران وسورية تأخذ بعين الاعتبار المنافع المتبادلة والعلاقات المتكافئة في اطار عقد شفاف يعتمد القانون والمصالح المشتركة مطلباً ملحاً للتنسيق والتعاون في مواجهة تحديات العولمة ومؤسساتها أما التغيرات التي نشهدها ولاسيما العقوبات المفروضة على البلدين قد تتغير أشكالها، لكن أهدافها لن تتغير وهذا ما يضع العلاقات أمام تحديات جديدة تحتاج إلى أساليب وطرق جديدة تعالج وترمم القائم منها وتضيف عليه كل ما من شانه أن يزيد في قوتها وأدائها.
وهنا فإن ما يجب التنبه إليه في إطار العلاقات السورية الإيرانية هو:

١- تركز قوة العلاقات السياسية في قمة هرم السلطة إن تركز العلاقات بجانب كبير منها في قمة الهرم(كما هو حال العلاقات السورية الإيرانية) يفقدها بعضاً من قوة ودعم التأييد الشعبي ولابد من أجل تعويضه من العمل على زيادة اللقاءات والتواصل الثقافي والفكري والإعلامي والأكاديمي وتفعيلها بمشاركة مؤسسات المجتمع الأهلي لتصبح حالة اجتماعية بثقافة سياسية.
٢- تواضع العلاقات الاقتصادية تبين المقارنة بين مستوى العلاقات السياسية والاقتصادية ضعفاً نسبياً في الأساس الاقتصادي الذي تستند إليه العلاقات السياسية، تحتاج عملية تقويته إلى توسيع شبكة العلاقات الاقتصادية والتجارية وتصحيح الاختلال القائم في المنافع المتبادلة والمصالح المشتركة.
٣- بالاستناد على ما تقدم وبالاستفادة من النجاحات في العلاقات السورية الإيرانية كأنموذج يمكن التأسيس عليه لزرع الثقة والاطمئنان مع دول الجوار العربي من خلال تشجيع الانفتاح و الحوار مع الجانب الإيراني، تمهيدا لإزالة المخاوف والشكوك المفتعلة والمغذاة أمريكياً وإسرائيلياً وأوربياً.

فالمشروع الأمريكي الصهيوني لن يستثني أحد من العرب والمسلمين، وأصحابه دائماً في حالة استنفار وعمل من أجل تفتيت البلدان العربية طائفياً ومذهبياً وعرقياً, وخلق بؤر توتر جديدة تستنزف طاقات الأمة وتخرب نسيجها الاجتماعي، وكل ذلك من أجل السيطرة على النفط وتعزيز قدرات إسرائيل وتقويتها وصولاً لإنجاز المشروع الخاص بتهويد فلسطين العربية وتهجير سكانها العرب. ونعتقد أن التعاون العربي الإيراني إذا ما تم على أسس واضحة سيحول دون تنفيذ هذا المشروع الرامي إلى تفتيت البلدان العربية وزيادة ضعفها.

أن العلاقات العربية الإيرانية على درجة من التشابك والمأساة أن العرب لا يتعاملون مع إيران،لا وفق منظور ديني ولا حتى مصلحي،بل في كثير من الأحيان ما يفرض طبيعة الموقف والعلاقة،هو اعتبارات خارجية،سببها ارتباط الكثير من أنظمة الحكم الرسمي العربي في مواقفها وسياساتها بالموقف والإرادة الأمريكية،فأنظمة لا تملك قرارها السياسي،وتعتمد في وجودها وبقاءها على كراسيها في الحكم إلى أمريكا،يستحيل عليها أن تنطلق وترسم علاقاتها مع إيران وفق المصالح القومية العربية،فنحن على سبيل المثال لا الحصر،ورغم أن إيران كانت تحتل الجزر الاماراتية الثلاث منذ زمن الشاه،فلم نسمع عن إيران الفارسية والمجوسية والشيعية،ومع انتصار الثورة الخمينية في إيران،والتحول في الموقف الإيراني من أمريكا وإسرائيل،وجدنا تحولاً في الموقف الرسمي العربي من إيران،وفي الحرب العراقية- الإيرانية،والتي هدفت إلى إضعاف إيران والعراق ومنع تحولهما إلى قوى إقليمية بما يضمن استمرار سيطرة أمريكا على،المنطقة ووجدنا دول الخليج وما يسمى بمعسكر الاعتدال العربي تدعم العراق من أجل استمرار هذه الحرب،وما أن توقفت تلك الحرب بعد ثماني سنوات ،حتى أدارت تلك الدول وبقرار أمريكي ظهر المجن للعراق،لنرى لاحقاً الكثير من الدول العربية تقف مع أمريكا ضد العراق،ولتساهم لاحقاً في احتلاله أمريكياً،وهناك محطات هامة لعبت الدور البارز في تحديد ورسم شكل وطبيعة العلاقات العربية- الإيرانية،فمن جهة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١ ،وما يسمى بالحرب على الإرهاب،صنفت أمريكا إيران وسوريا ومعها أيضاً كل قوى المقاومة العربية والفلسطينية بما فيها حزب الله وحماس ضمن خانة محور الشر،ومارست كل أشكال وأنواع العقوبات الاقتصادية والتجارية والمالية والدبلوماسية والعزل والحصار بحقها،ورغم ذلك وقفت إلى جانبها أغلب دول النظام الرسمي العربي،ولكن فشل السياسة الخارجية الأمريكية بدءا من أفغانستان ومروراً بالعراق ولبنان وانتهاء بفلسطين،قاد إلى عدد من التحولات والتبادلات الإقليمية،فإيران وحلف المقاومة والممانعة والمعارضة العربية،بدء بالتقدم على حساب تآكل في شعبية وحضور التيار المعتدل،فإيران لم تتراجع عن قرارها بامتلاك التكنولوجيا والسلاح النووي وغدت قوة إقليمية وسوريا لم تعزل ويسقط النظام،ودخول إيران كلاعب قوي على ملعب المصالح الأمريكية،قاد إلى دفع أمريكا لإسرائيل لكي تخوض عنها ولأول مرة حرباً بالوكالة من أجل الدفاع عن هذه المصالح وخلق ما يسمى بالشرق الأوسط الجديد.

ولكن ثبت أن حزب الله ومعه حلفاءه إيران وسوريا أجهضوا هذه الولادة،وهذا عكس نفسه على محور الاعتدال العربي الذي زاد حضوره وشعبيته تآكلا ناهيك عن مصادرة إيران وقوى إقليمية أخرى الدور العربي والإقليمي لدول عربية كبرى مثل السعودية ومصر،هو الذي دفع بهذه الدول وأيضاً بقرار أمريكي،لشن حملة على إيران وقوى المقاومة العربية والخطر الإيراني على ما يسمى بالأمن القومي العربي المفقود،وشنت الحملة تحت غطاء المذهبية ونشر التشيع في الوطن العربي، ومع انكشاف دور النظام الرسمي العربي وفي مقدمته مصر والسعودية في التآمر والمشاركة في الحرب العدوانية التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة في ٢٠٠٨ ،خلق نوع من العلاقات الجديدة حيث أن دولة بحجم دولة قطر لعبت دوراً إقليميا أكبر من قوتها وقدراتها،وأصبحت تقترب من المعسكر الإيراني – السوري وقوى المقاومة اللبنانية والفلسطينية،وفي المقابل وجدنا النظام المصري يشن حرباً غير مسبوقة على حزب الله حليف إيران القوي ،وهذه التحالفات العربية،تجعلنا نقول أن هناك غياب كلي لمفهوم الأمن القومي العربي،وعدم امتلاك الكثير من أنظمة الحكم الرسمي العربي لقرارها السياسي ورهن إرادتها للخارج،هو الذي يدفعها في سبيل حماية عروشها الى تضخيم المخاطر الإيرانية على المصالح العربية والأمن القومي العربي،الذي تذبحه هي ليل نهار وتتباكى عليه،ولكل دولة مصالح وأهداف وأطماع،والأطماع الإيرانية والأهداف في العراق واحتلال الجزر الإماراتية الثلاث، بالإمكان حلها وتسويتها في إطار من التفاهم ،ولكن ما هو غير مفهوم أن إيران التي تساند العرب في الكثير من القضايا،وهي ليست لها أطماع في فلسطين ولا سوريا ولا حتى مصر ومن بعدها السعودية،نساوي بين خطرها وأطماعها والخطر الأمريكي والغربي والإسرائيلي على المنطقة العربية،فإيران لم تزرع إسرائيل في قلب الوطن العربي،ولم تدعم هيمنتها وسيطرتها على المنطقة العربية،ومن هنا نقول أن شكل العلاقات العربية- الإيرانية له علاقة بالتطورات والتغيرات الحادثة إقليميا ودولياً، وما يفرضه هو طبيعة هذه التطورات والتغيرات وليس الواقع العربي نفسه وخاصة المعتدل منه،فأي انفراج أمريكي- إيراني سيعكس نفسه على علاقة إيران مع معسكر الاعتدال العربي،على اعتبار أن هناك علاقة تحالف وثبات ما بين سوريا وإيران وحلفائهما،وأي تصعيد أيضاً سيعكس نفسه بالاتجاه المعاكس على هذه العلاقات.

ومن هنا يجب القول أن إيران أضحت قوة إقليمية تلعب وتؤثر في أكثر من ساحة العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والخليج نفسه،وهي جارة لكل الدول العربية ويربطها الكثير من الوشائج والعلاقات والمصالح بالعالم العربي،وهي تقف في موقع متصادم مع المشاريع الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة،ولذلك يجب العمل على صوغ تحالفات وعلاقات معها بما يضمن مصالحها والمصالح العربية،وعلى العرب أن يعوا جيداً ما قاله تشرشل الزعيم البريطاني ومن بعده كوندليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة،بأن الغرب وأمريكا ليس لهم أصدقاء دائمين،بل لديهم مصالح دائمة،وعليهم أن يتصرفوا مع الغرب وأمريكا وفق هذه القاعدة،بدلاً من إضاعة الوقت في عمليات التحريض على تفتيت الموقف العربي،بالحديث عن المذاهب والخطر الفارسي والمجوسي،فالخطر القادم من إسرائيل وأمريكا والغرب،أخطر بمئات المرات من ما يسمى بالخطر الإيراني،فأمريكا هي من احتلت العراق بمشاركة عربية وإسرائيل هي من يحتل فلسطين أيضاً بمشاركة رسمية عربية،فإيران لا تحاصر شعب فلسطين ولا تمنع عنه الغذاء والدواء ولا تحتل لا الجولان ولا حتى سيناء التي لا يسمح للمصريين،بإدخال جندي إضافي إليها إلا بأمر أمريكي- إسرائيلي.

المصادر والمراجع

١- الاحتلال الإيراني للجزر العربية في الخليج- عبد المالك خلف التميمي
٢- دراسة في تاريخ العلاقات العربية - الإيرانية ١٧٨٧ - ١٩٧١ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية- العدد ٧٥
٣- التطورات السياسية في دولة الإماراتالعربية المتحدة- ومحمد حسن العيدروس
٤- الجزر الإيرانية الثلاث بين الشواهد التاريخية والتأليب الغربي- كيهان العربي
٥- عروبة الجزر الثلاث تؤكدها الوقائع التاريخية والقانونية -صالح الطيار - جريدة عكاظ (السعودية) ١٩٩٤/١٢/٢٤
٦- مجلة الدولية ٢٠- ابريل ١٩٩٤
٧- الشاه وأنا - المذكرات السرية لوزير البلاط الإيراني- اعداد علي ناغي علي خاني
٨- المدخل الى القانون الدولي العام وقت السلم -محمد عزيز شكري
٩- النظام الدولي والسلام العالمي -أ.ل.كلود٦
١٠- تركيا وإيران وكارثة الخليج الثانية- نازلي معوض احمد- مجلة العلوم الاجتماعية السنة ١٩ العددان ١ - ٢
موسوعة الساحل الإلكترونية
١٢-القضية الأحوازية- السيد عباس العساكره الكعبي
١٣- تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي د. عيسي العاكوب
١٤-صلات بين العرب والفرس والترك د.حسين مجيب المصري .
١٥- التقاء الحضارتين العربية والفارسية -د. يحيي الخشاب .
١٦- دراسات في الأدب المقارن. د.بديع جمعه ،
١٧-موسوعة مصر القديمة -سليم حسن .
١٨-الأدبيات الفارسية في الأدب العربي د.محمد عبد الرحمن الربيع .
١٩- فجر الإسلام -احمد أمين
٢٠- السيرة الحلبية .
٢١- الاصابة في تمييز الصحابة
٢٢- تاريخ الطبري .

٢٣- فتوح البلدان -البلاذري .
الملف النووي الإيراني باسكال بونيفاس.
البرنامج النووي الإيراني وسيناريوهات المستقبل- د٠ راغب السرجانـي.
الملف النووي الإيراني -عبد الوهاب بدر خان.
أمن الخليج وإشكالية الدور العربي -عبد الجليل زيد المرهون.
أزمة البرنامج النووي الإيراني -كينيث كاتزمان.
مناورات روسية في الملف النووي الإيراني -ليونيد الكسندر وفتش
إيران الغامضة -محمد السيد سعيد
إيران وصراع الدرع الصاروخي بين بوش وبوتين -محمد السعيد إدريس.
شراكة عربية -إيرانية أم شراكة إيرانيـة- أمريكية- نقولا ناصر ٣٣-الأمن القومي العربي: لا تزال هناك فرصة -عبد المنعم المشاط.
٣٤-ماذا بعد عاصفة الخليج -ميشيل جوبير وآخرون
٣٥ - إيران والتهديد الاسلامي -هوشنك أمير أحمدي
٣٦ - في مواجهة الصهيونية، ترجمة خضر نور الدين ورفعت سيد أحمد.

الفهرست